Alive PDF Merger: Order full version from www.alivemedia.net to remove this watermark!

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف-المسيلة-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

ثورات البربر في المغرب ضد خلافة المشرق

عصر ولاة بني أمية (90-132هـ/ 709-750م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستير - تخصص تاريخ القرون الوسطى-

إعداد الطلبة:

- جمال الدين بوزيان
- فؤاد عريوة
- نور الدين مسعودي

إشراف الدكتور:

عبد الحميد عمران

لجنة المناقشة:

- أ. حليم سرحان
- د. عبد الحميد عمران
- أ. عبد الرحمن نويقة

السنة الجامعية:

1435-1436هـ/2014-2015م

المقدمة

مقدمة:

إنصهرت بلاد المغرب في جسم الدولة الإسلامية بعد استقرار عملية الفتح التي أحدثت تغييرا جذريا، ارتسمت من خلاله ملامح سياسية جديدة لهذه المنطقة، وأخذت وجها جديدا يختلف تمام الاختلاف عن الوجه السابق، بحيث أصبحت هذه المنطقة ولاية مستقلة مركزها القيروان بإفريقية، تتبع سلطة الخلافة الأموية في دمشق ويبرز مظهر هذه التبعية في الولاة العرب الذين تولوا شؤون بلاد المغرب باسم الخليفة الأموي.

ولقد شهدت بلاد المغرب عدة اضطرابات في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، اختلف المؤرخون في تحديد مسبباتها وسياق نشوئها، وذلك لغياب مصادر عايشت تلك الفترة، فالمصادر التي أرخت لهذه الأحداث تناولتها عرضيا دون الغوص في مكنوناتها، لبعدها عن مسرح الأحداث زمانيا ومكانيا.

وهذا ما جعلنا نطرح عدة إشكالات حول هذا الموضوع من أبرزها:

- ما هي ظروف وملابسات نشوء ثورات بلاد المغرب ضد خلافة المشرق؟
- كيف كانت أحداث ومجريات ثورات البربر في بلاد المغرب؟
- ما التداعيات التي خلفتها هذه الثورات؟
- كيف أثرت على استمرار عملية الفتح الإسلامي؟ وسقوط الخلافة الأموية؟

وقد دفعتنا عدة أسباب لاختيار هذا الموضوع الذي يمثل جزءا من ماضينا وتراثنا الذي توجب علينا معرفته، ونقول أن أهم ما دفعنا لطرح هذا الموضوع هو ما تراءى لنا من غموض في حيثيات وملابسات هذه الثورات، تتطلب الكثير من التمحيص والتوضيح ورفع اللبس عن مكنوناتها، ولذلك هممنا بدراسة هذه الثورات من شتى الأوجه.

ولدراسة هذا الموضوع اعتمدنا منهجا تاريخيا تحليليا وصفيا، مع مقارنة ما ورد في المصادر والمراجع، كما عملنا على استسقاء المادة العلمية من مصادرها الأولوية.

وفي ظل دراسة هذا الموضوع واجهتنا عدة صعوبات نذكر منها:

- اتسام المادة المصدرية التي تناولت هذه الثورات بالسطحية، وعدم إيضاح الأسباب الكامنة وراء نشوء هذه الثورات.
- تشابه المعلومات حول أحداث هذه الثورات في جل المصادر.
- إضافة إلى صعوبة الحصول على بعض المراجع، التي تبين لنا من عناوينها أنها تخدم الموضوع مثل: ثورات البربر في بلاد المغرب والأندلس للدكتور: "حسين مؤنس".

وتطلب منا موضوع البحث تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة فصول، وكل فصل يتفرع إلى مباحث وهي تتمفصل كالتالي:

في المقدمة أشرنا إلى أهمية الموضوع، والأسباب الكامنة وراء اختياره، وطرح الإشكاليات والمنهج المتبع في هذه الدراسة، ثم الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث وختمناها بنقد وتحليل لأهم المصادر والمراجع التي اشتغلنا عليها لإعداد هذه الدراسة.

وفي الفصل الأول: أسباب ثورات البربر ضد خلافة المشرق، وفيه تناولنا أسباب الثورات التي قام بها المغاربة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو مذهبية، وأوردنا مختلف وجهات نظر الباحثين والدارسين حول هاته الأسباب، ومن أهم المصادر التي عدنا إليها في هذا الفصل كتاب ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لابن خلدون المتوفى في (808هـ)، فقد أمدنا ابن خلدون بمعلومات غزيرة، وخاصة ما تعلق بالمعلومات المفصلة عن قبائل البربر، وكتاب البيان المغرب

في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي المتوفى سنة (412هـ/1312م)، وترجع أهميته إلى اعتماده على الكثير من المصادر النفيسة والمفقودة، التي كانت معاصرة أو قريبة من الأحداث التاريخية التي تناولها بحثنا .

أما عن المراجع التي اشتغلنا عليها فيأتي في مقدمتها، كتاب المغرب الإسلامي لموسى لقبال، والذي تضمن معلومات قيمة وشرح مستفيض لمصطلحات تتعلق بالجانب الاقتصادي لتلك الفترة التي تناولنا فيها دراستنا، وكتاب الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، لصاحبه محمود إسماعيل عبد الرازق وهو من أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في دراستنا نظرا لتحليلاته القيمة،و كتاب فجر الأندلس لحسين مؤنس، والذي امتاز بمعلومات قيمة تتعلق بالصراع القبلي الذي ميز الخلافة الأموية.

وفي الفصل الثاني: فقد تطرقنا من خلاله إلى مجريات وأحداث الثورات في بلاد المغرب، تحدثنا في بدايته عن الإرهاصات الأولى لهذه الثورات، وعن اشتعال الثورة بعد عودة الوفد الذي ذهب إلى قصر الخلافة في دمشق، وتحدثنا عن مختلف الثورات التي توالت على ولاة بني أمية في بلاد المغرب، بدءا من ثورة ميسرة المطغري ثم موقعة الأشراف، وثورة بقدورة وأخيرا موقعتا القرن والأصنام.

ومن أهم المصادر التي أفادتنا في هذا الفصل، فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم المتوفى سنة (257هـ/871م) وهو من أقدم المصادر التي تحدثت عن موضوع الثورات، وقد أمدنا بمعلومات مهمة عن ولاة بني أمية في بلاد المغرب وأسباب ثورات البربر ومجريات أحداثها، تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيرواني المتوفى في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة، الذي

استقينا منه معلومات هامة تتعلق بثورات البربر، نقل عن الرقيق القيرواني العديد من المؤرخين منهم: ابن الأثير، ابن عذارى وابن خلدون.

أما عن المراجع التي وضفناها في هذا الفصل فيأتي في مقدمتها، كتاب ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري لصاحبه إبراهيم بيضون، الذي اتسم بتحليلات غاية في الدقة والتركيز، وكذلك دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي لمؤلفه محمد بن عميرة ، و كتاب المغرب الكبير العصر الإسلامي، للسيد عبد العزيز سالم الذي أمدنا بتحليلات قيمة تتعلق بالتاريخ السياسي لبلاد المغرب، واستقينا منه معلومات مركزة عن ثورات المغاربة وجهود ولاة بني أمية للتصدي لها.

أما في الفصل الثالث والأخير: فتحدثنا عن تداعيات هذه الثورات على بلاد المغرب، وعلى الأندلس والخلافة الأموية في المشرق، حيث عددنا التغييرات التي أحدثتها هذه الثورات في المغرب على مستوى المجال الجغرافي وعدوى هذه الثورات التي انتقلت إلى الأندلس، وكذا تأثيرها على تعطيل عملية الفتح الإسلامي ودورها في إسقاط الخلافة الأموية، وعدنا في هذا الفصل إلى عدة مصادر أفادتنا بمعلومات مهمة، ومن ابرز هذه المصادر:

كتاب أخبار مجموعة لمؤلف مجهول في القرن الرابع الهجري، ورغم أن الكتاب خاص بالأندلس، إلا أنه زودنا بمعلومات قيمة عن ثورات البربر في بلاد المغرب وتفاصيل عن عدد جيش كلثوم وسبب هزيمته من البربر، واستعملنا عدة مراجع في مقدمتها؛ كتاب العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب الذي أمدنا بالأسباب الكامنة وراء انتقال صدى الثورات إلى الأندلس.

وفي خلاصة هذا البحث بينا النتائج التي استخلصناها من خلال دراستنا، ثم انهينا بتثبيت للمصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

وأخيرا نتوجه بالشكر الخاص للأستاذ المشرف الدكتور "عبد الحميد عمران" الذي أشرف على هذا البحث من بدايته إلى نهايته، جزاه الله عنا كل خير.

الفصل الأول

أسباب ثورات البربر في المغرب ضد خلافة المشرق

تمهيد:

اختلفت الأبحاث والدراسات حول الثورات التي اندلعت في بلاد المغرب[1] أوائل القرن الثاني للهجرة، وهي تنعتها تارة بثورات الخوارج وتارة أخرى بثورات البربر، كما أنها اختلفت حول الأسباب التي تكمن وراءها فعبد الله العروي برأ ساحة ولاة بني أمية في بلاد المغرب من المسؤولية في اندلاع هذه الثورات، واعتبرها امتدادا لحروب القرنين الخامس والسادس، التي استهدفت كل حكم مركزي نظامي غير بربري، لأنه يرى أن القسم الأكبر من المغاربة في ذلك الوقت كان قد قطع الصلة بأي سلطة سياسية[2].

بينما هناك كثير من الدارسين أجمعوا على أن الأسباب الاقتصادية تكمن وراء اندلاع هذه الثورات ،نذكر منهم عبدا لعزيز سالم[3]، الحبيب الجنحاني[4] حسين مؤنس[5]، وهناك من ينسبها إلى أسباب دينية ومذهبية، كعبد العزيز غوردو الذي وصفها بأنها إحدى ثورات الإسلام على نفسه[6]، بينما ينفي محمد عبد الحي شعبان أي صلة لهذه الثورات بالحركة الخارجية ويعتبر أن الأسباب العنصرية تقف وراءها[7].

1- بلاد المغرب: يقصد بمصطلح بلاد المغرب كل الاقاليم الواقعة غرب مصرو التي تشمل شمال القارة الإفريقية وتضم ليبيا ، وتونس والجزائر والمغرب او مراكش كما يسميه البعض نسبة الى عاصمته الجنوبية مراكش(سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ، مطبعة المعارف ، الإسكندرية، 1979،ج1، ص6).

2 - عبد الله العروي:مجمل تاريخ المغرب،ط5،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،1996،ج1،ص142،143.

3- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير العصر الإسلامي، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص293 وما بعدها.

4- الحبيب الجنحاني:المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، مطابع السياسة ، الكويت، 2005، ص202 وما بعدها.

5- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، 1992، ص72 وما بعدها

6- عبد العزيز غوردو: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب،ط2،دار ناشري للنشر الالكتروني،الكويت،2011،ص75.

7- محمد عبد الحي شعبان: صدر الإسلام والدولة الأموية، بيروت، 1987، ص168.

في حين اعتبرها إبراهيم بيضون جزءا من التحرك الثوري العام الذي اجتاح ولايات الدولة الأموية، من المغرب حتى أواسط آسيا في المشرق، مرورا بالانتفاضة العلوية في العراق.[1]

وفي واقع الأمر فإن أثار وملابسات ثورات المغاربة، وكذا مجرياتها، لا يمكن فهم حقيقتها إلا من خلال ربطها بالظروف العامة التي كانت سائدة إبان وقوعها، سواء على المستوى المحلي في بلاد المغرب أو على المستوى المركزي هناك في دمشق.

ونرى أن كل هذه الأسباب مجتمعة لها حضور في سياق الأحداث وهي تلح علينا كلما تطرقنا إلى ملابسات وظروف اندلاع هذه الثورات .

1- إبراهيم بيضون: ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1979، ص349.

أولا: الأسباب السياسية لثورات المغاربة ضد الخلافة

وجد المغاربة تناقضا صارخا بين تعاليم الإسلام ومبادئه، بما تنطوي عليه من عدل ومساواة، وبين سياسة الأمويين الأواخر الجائرة[1]، فإذا علمنا أن الفاتحين الأوائل لبلاد المغرب اعتبروا أن فتحها قد تم صلحا كما قال ابن عذارى: « استقامت بلاد افريقية لحسان بن النعمان[2] ،فدون الدواوين وصالح على الخراج[3] وكتبه على عجم افريقية، وعلى من أقام معهم على دين النصرانية»[4]، ويقول المالكي عن أبي المهاجر[5]: « صالح عجم افريقية وأدخلهم حظيرة الإسلام والعروبة»[6] .

وفي الشريعة الإسلامية البلدان التي فتحت صلحا يدفع أهلها الخراج ويسقط بإسلامهم وهذا على عكس الأرض المفتوحة عنوة التي يضرب عليها خراجا مستمرا سواء أكان صاحبها مسلما أو ذميا والخراج يكون أجرة على

1- محمود إسماعيل عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص40.

2- حسان بن النعمان بن المنذر الغساني كان بطلا شجاعا ، افتتح في المغرب بلادا وكانت له في دمشق دارا كبيرة صالح البربر واقر عليهم الخراج ، هذب إقليمهم ، إلى إن عزله الوليد بن عبد الملك ، ثم حلف بعد ذلك انه لا يولي لبني أمية أبدا، كان يدعى الشيخ الأمين لثقته(الذهبي، الحافظ شمس الدين(ت 748هـ/1247م): سير أعلام النبلاء، تح: عمر بن غرامة العموري، ط1، دار الفكر، بيروت، 1997م).

3- الخراج : مقدار معين من النقد أو من الحاصلات ، يفرض على الأراضي التي فتحت عنوة ، إذا لم تقسم بين الفاتحين و تركت بين يدي أهلها، و على الأراضي التي استحوذ عليها المسلمون دون قتال، إذا اتفقوا مع أهلها، وهذا الوجه المالي ، لا يتأثر بالإسلام، لأنه ضريبة عقارية ، تتعلق بالأرض(موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص139).

4- ابن عذارى ، أبو العباس بن احمد بن محمد المراكشي(ت712هـ/1312م) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تح: ج،س ،كولان وليفي بروفنسال،ط3،دار الثقافة، بيروت،1983،ج1،ص38 .

5- أبو المهاجر: عرف بكنيته أبي المهاجر أكثر من اسمه دينار، وهو مولى لمسلمه بن مخلد الأنصاري والي مصر، الذي ولاه افريقية في سنة 55هـ إلى سنة 62هـ(عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص209)

6- المالكي،أبو بكر عبد الله بن محمد (474هـ/1081م) : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، وزهادهم ونساكهم،وسيرمن أخبارهم، وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش واحمد لعروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت،1983، ج1، ص33.

الأرض يؤخذ كل عام[1]، ويقول محمد علي دبوز: "وقد عد حسان والمسلمون أرض البربر وبلادهم مفتوحة صلحا فلذلك أقر الأرض في أيدي البربر وجعلها لهم، ولو اعتبرها مفتوحة عنوة لكانت ملكا للدولة تمنحها لمن تشاء"[2].

والكثير من المصادر رواياتها متطابقة بأن المغاربة أسلموا مبكرا وخاصة في عهد عمر بن عبد العزيز، يقول ابن خلدون: "ولما مات سليمان[3] استعمل عمر بن عبد العزيز[4] على افريقية إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر[5] وكان وكان حسن السيرة وأسلم جميع البربر في أيامه »[6]، حيث أرسل عمر بن عبد العزيز مع واليه عشرة من كبار الفقهاء، فتعاظمت حركة إسلام البربر وتعريبهم،

1- السيد سابق: فقه السنة، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985، ج2، ص691.

2- محمد علي دبوز :تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاولت الثقافية،2010،ج2،ص127

3- سليمان بن عبد الملك بن مروان: هو سابع خلفاء بني امية ، بويع بالخلافة لما مات أخوه الوليد سنة 96هـ، و كان سليمان حينها في مدينة الرملة ، فلما وصله الخبر سار إلى دمشق ودخلها وأحسن السيرة ورد المظالم، واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيرا، توفي سنة 99هـ ، وكانت مدة خلافته سنتين وثمانية أشهر(أبو الفدا، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ، (ت 732هـ/1331م) : المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم محمد عزب ويحي سيد حسين ومحمد فخري الوصيف، ط1، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص249).

4- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين أبو حفص الأموي، ولد بالمدينة سنة 60هـ عام توفي معاوية أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، روى عن انس و عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وغيرهم، بعثه أبوه من مصر إلى المدينة ليتأدب بها ، ولما مات أبوه طلبه عمه عبد الملك إلى دمشق وزوجه بابنته فاطمة، ولما طلب إلى الخلافة كان في المسجد، توفي في دير سمعان سنة101هـ، كانت خلافته سنتين و خمسة أشهر وأربعة عشر يوما (الكتبي: فوات الوفيات، مجلد3، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1974، ص133.)

5- هو حفيد البطل أبو المهاجر دينار، كان فقيها زاهدا، وهو احد العشرة التابعين ، استعمله عمر بن عبد العزيز ،على المغرب ليحكم بينهم ويفقههم في الدين، بين سنتي (100-101هـ/718-719م) ،فسار فيهم بالحق، واسلم على يديه عامة البربر، وكان حريصا على إسلامهم، روى عن عبد الله بن عمرو وفاضلة بن عبيد وجماعة من التابعين،وروى عنه الاوزاعي وسعيد بن عبد العزيز.(الدباغ،عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري (ت 696هـ/1296م) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،تح: إبراهيم شبوح ،ط2،القاهرة، 1968،ج1،ص203-206).

6- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ج4، ص240.

واستجاب البربر لتعاليم الفقهاء، وأقبلوا على الإسلام "حتى غلب على المغرب"[1] "ولم يبق يومئذ من البربر أحد إلا أسلم"[2].

وحسب صاحب كتاب المؤنس، فإنه لم يكد القرن الذي عرف بقرن الفتح يمضي، حتى أضحت عقيدة التوحيد ماثلة في نفوس سكان المغرب...وعلى رأس المائة الأولى، دانت جميع افريقية، من برقة[3] إلى السوس[4] الأقصى[5].

كل هذه الروايات التي وردت في المصادر، تناقض ممارسات ولاة بني أمية على بلاد المغرب، الذين أساءوا السيرة، واعتبروا بلاد المغرب دار حرب.[6] حرب.[6]

وأما ما يتعلق بما نقله ابن خلدون عن أبي زيد القيرواني من أن البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة[7]، فالمقصود به الثورات ضد

1- البلاذري(ت279هـ) : فتوح البلدان،مؤسسة المعارف للطباعة والنشر،بيروت،1987،ص324.

2- ابن عبد الحكم(257هـ): فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الذخائر، القاهرة، 2001، ج1، ص287.

3- برقة : الاسم العربي لولاية سيرانايك القديمة ، وعاصمتها الحالية بن غازي ،أفتتحها عمرو بن العاص سنة 23هـ /644 ، وفرض الجزية على أهلها قبيلة لوتة (ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله لسان الدين بن الغرناطي ،(ت 776هـ/ 1375م) : أعمال الأعلام ممن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ،تح : احمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964م، القسم الثالث ، ص1).

4- السوس : بضم السين، وسكون لواو، تطلق على إقليم كبير من المغرب الأقصى، كانت فيه مدن عظيمة ، وقرى كثيرة، في جانبه الشمالي نهر يأتي من الشرق من جبل لمطة، ومدينة طنجة ، اما السوس الأقصى فيطلق على القسم الجنوبي الغربي منه (حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ص4).

5- ابن أبي دينار(عاش في القرن الحادي عشر الهجري) : المؤنس في أخبار افريقية وتونس،ط1،مطبعة الدولة التونسية تونس،1286هـ ، ص36.

6- محمود إسماعيل: الخوارج، المرجع السابق، ص34.

7- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص144.

الولاة، وليس ضد الدين الإسلامي في حد ذاته، والدليل على ذلك أن كسيلة لما دخل القيروان بعد مقتل عقبة، عامل المسلمين بها معاملة حسنة طيبة.[1]

والملفت للانتباه أن خلفاء بني أمية حرصوا منذ البدء على أن لا يلي شؤون افريقية إلا من سبقت لهم ممارسة مسؤولية إدارية أو مالية في مصر نظرا لقربها من افريقية، ولتشابه الأنظمة البيزنطية الموروثة في كلا الإقليمين.[2]

وربما لاعتبارات جغرافية، كاد حاكم مصر أن يكون المسئول المطلق عن هذا الجزء من الدولة[3]، و كان عمال مصر يرون في بلاد المغرب مجالا للغزو، وميدانا للغنم[4]، وطريقا إلى المجد، واكتساب الحظوة لدى الخلفاء ووسيلة ووسيلة للبقاء طويلا على رأس ولاية مصر التي تدخل ولاتها في شؤون المنطقة، مما ألحق بها أضرارا جسيمة وأخر ظهورها على هيئة الولايات المستقلة[5].

وبالإضافة إلى السلطات الواسعة لوالي افريقية، وكذا بعد الولاية عن مركز الخلافة، دفع ذلك إلى استئثار بعض الولاة بها، وإقطاعها لأقاربه،ومواليه،من ذلك ما فعله عبد الرحمن بن حبيب(127-137هـ/745-755م) حينما استولى على الولاية في عهد مروان بن محمد بن الحكم[6]،وقام بطرد عامل الخليفة في ذلك الوقت حنظله بن صفوان(124-127هـ/742-

1- سعد زغلول: المرجع السابق، ج1، ص207.

2- موسى لقبال : المرجع السابق ،ص107.

3- إبراهيم بيضون : المرجع السابق، ص349،350 .

4- حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص271 .

5- موسى لقبال : المرجع السابق، ص123،124.

6- مروان بن محمد بن الحكم بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، آخر خلفاء بني أمية، تولى الخلافة سنة 127هـ/745م وقتل سنة 132هـ/750م في بوصير من أعمال مصر، بعد أن فر من موقعة الزاب(أبو الفدا : المصدر السابق،ج1، ص259 وما بعدها).

755م)، واستبد بأمور الولاية وعين على النواحي إخوته وأصفياءه[1]،مما اضطر الخليفة مروان إلى الاعتراف به وتثبيته على الولاية[2].

وهذا الوضع الذي انتهت إليه ولاية افريقية هو وضع ولايات الاستيلاء في الأحكام السلطانية،حيث يقول الماوردي: "... وأما إمارة الاستيلاء التي تعقد عن اضطرار، فهي: أن يستولي الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها،فيكون الأمير باستيلائه مستبدا بالسياسة وبالتدبير، والخليفة بإذنه منفذا لأحكام الدين للخروج من الفساد إلى الصحة، ومن الحضر إلى الإباحة..."[3] .

وهناك من الدارسين من يدافع عن خلفاء بني أمية،ويعمل على تبرئتهم من تبعات ما حدث في المغرب من مساوئ، بإلقاء اللائمة على الولاة وحدهم،ويأتي على رأس هؤلاء الباحثين، عبد العزيز سالم[4]، وحسين مؤنس[5]، ومحمد علي دبوز[6]، ويبدو أن هؤلاء تأثروا برواية لصاحب أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تقول: "...وقد يقول من يطعن على الأئمة أنهم إنما خرجوا ضيقا من سير عمالهم، وان الخليفة وولده، كانوا يكتبون إلى عمال طنجة[7] في جلود الخرفان العسلية... وهو قول أهل البغض للائمة.."[8].

1- موسى لقبال:المرجع السابق، ص118

2- ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص324

3- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ/1098م):الأحكام السلطانية والولايات الدينية،ص44،45.

4- عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص288.

5- حسين مؤنس: فجر الأندلس، ط1، دار المناهل، بيروت، 2002، ص206.

3-محمد دبوز:المرجع السابق،ص 169

7- طنجة: مدينة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء ، بينها وبين القيروان ألف ميل وبينها وبين سبتة يوم واحد(الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، ت 626هـ/1229م: معجم البلدان، تح: فريد عبد الحميد الجندي، ط1، 1990، ج3، ص182).

8- مؤلف مجهول :أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تح : إبراهيم الابياري، ط2، دار المصري ودار الكتاب اللبناني، 1989 ،لبنان،ص37

ومن المعروف أن هذا المؤرخ المجهول، يعد الوحيد من بين المؤرخين القدامى الذي تصدى للدفاع عن بني أمية، وذلك لأنه أندلسي ، يعيش في كنف الإمارة الأموية في الأندلس[1]، وكثير من المصادر أكدت مسؤولية خلفاء بني أمية عما حدث في المغرب من تجاوزات، فهذا ابن عذارى يذكر أنه لما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب[2]مناهم بالكثير[3]، ويقصد بذلك خلفاء بني أمية.

وكذلك ابن خلدون يخبرنا أن الخلفاء كانوا يطالبون الولاة بالوصائف البربريات والأردية العسلية الألوان، وأنواع طرف المغرب، فكانوا يتغالون في جمع ذلك وانتحاله حتى: ".. كانت الصرمة من الغنم تهلك بالذبح لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها[4]، ولا يوجد منها مع ذلك إلا الواحد وما قرب منه..."[5].

وكذلك رواية الوفد الذي ارتحل إلى مقر الخلافة في دمشق ليشكو جور ابن الحبحاب وتعسفه، واستبيان حقيقة علم الخليفة هشام بن عبد الملك[6] بتلك

1- محمود إسماعيل:الخوارج ،المرجع السابق، ص36.

2- عبيد الله ين الحبحاب: مولى بني سلول، ولاه على بلاد المغرب هشام بن عبد الملك سنتي (116-123هـ/734-742م) و ذلك لما أبداه من حسن إدارة أثناء ولايته للخراج في مصر،كانت سلطته واسعة مطلقة تشدد في جباية الخراج والجزية لما تولى خراج مصر وقام بوسم أيدي النصارى بسمة الأسد لتسهل معرفة الذين تجب عليهم الجزية(سيدة إسماعيل كاشف:مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1994،ص233.)

3- ابن عذارى: المصدر السابق، ج،1ص،52.

4- السخال: سلخ سلخا الخروف أي كشط جلده (لويس معلوف: المنجد في اللغة والآداب والعلوم، ط19، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص325)

5- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 156.

6- هشام بن عبد الملك: كان عمره أربعا وثلاثين سنة لما ولي الخلافة، كان حازما شديد الراي: عالما بالسياسة ، توفي سنة 125هـ، وكانت مدة خلافته تسع عشر سنة (أبو الفدا: المصدر السابق،ج1، ص253 وما بعدها).

الممارسات،إلا أن ذلك الوفد لم يتسن له مقابلة الخليفة،فعاد أدراجه وهو متيقن من تواطؤ الخليفة مع عماله[1].

وعلى حد قول المؤرخ"فلهاو زن "wellhausen "؛جشع الخليفة للحصول على الأموال هو الذي يكره العمال على امتصاص دم الرعايا[2]، وما يعزز أكثر حقيقة تورط الخلفاء في قضية الأموال، أن عبد الرحمن بن حبيب(127-137هـ/745-755م) عندما كان واليا على افريقية ، رفض الإذعان إلى أوامر الخليفة المنصور، بإرسال الأموال والسبي،قائلا:"..إن افريقية اليوم إسلامية كلها،وقد انقطع السبي منها والمال"[3].

وهذا يدل على ما كان سائدا في العصر الأموي الأخير من طمع الخلفاء في أموال المغاربة وسباياهم، ويؤكد مسؤولية هؤلاء عما كان يقوم به عمالهم في بلاد المغرب. وعلى الرغم من حرص الأمويين، على الصبغة العربية للدولة، وللوظائف السامية في المشرق،حيث كانوا يشترطون في الوالي أن يكون عربيا وعريق النسب أيضا،إلا أنهم تسامحوا في هذه الناحية في ولاية المغرب الإسلامي، فعينوا على رأس الولاية رجالا من الموالي، كمحمد بن يزيد مولى قريش(97-100هـ/718-719م)،وإسماعيل بن عبيد الله مولى بني مخزوم(100-101هـ/718-719م)،وعبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول (116-123هـ/734-742م)[4].

1- عبد العزيز فيلالي : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1999، ص48.

2- يوليوس فلهاو زن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية،تعريب وتعليق محمد عبد الهادي ابوريدة، لجنة التأليف والترجمة،القاهرة،1968،ص331.

3- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ/ 1232م): الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج4، ص501.

4- موسى لقبال : المرجع السابق،ص107.

وعلى ضوء ما سبق يتبين لنا أن خلفاء بني أمية كانوا ينظرون لبلاد المغرب كمورد هام للأموال والسبي والتحف والطرف، بصرف النظر عن كون أهلها قد صاروا في دائرة الإسلام حسب كل الروايات، ونظرة الخلفاء كانت متناغمة مع ممارسات ولاتهم على هذه الولاية، التي عانت من التهميش والاستبداد، وهو ما أدى إلى الثورة على ولاة بني أمية.

ثانيا: الأسباب الاقتصادية لثورات المغاربة ضد الخلافة

اتفق المؤرخون القدامى،سواء كانوا مشارقة أو مغاربة ، حول ما كان لبني أمية وخاصة المتأخرين، من شغف ونهم بالسبي والمغانم،على حساب اهتمامهم بأسلمة وتعريب البلاد المفتوحة، وضمها إلى دولة الإسلام[1]، وهي الحال نفسها بالنسبة لبلاد المغرب، حيث تواترت الروايات التاريخية عن سوء معاملة عمال العصر الأموي الأخير للمغاربة، وإرهاقهم بالمغارم والجبايات[2]، فما إن توفي عمر بن عبد العزيز(99-101هـ/718-720م) حتى عادت الخلافة الأموية إلى سيرتها الأولى، حين اعتبر الخليفة الجديد يزيد بن عبد الملك(101-105هـ/720-723م) أن السياسة التي كان يتبعها عمر بن عبد العزيز غير مجدية.

فحسب ابن الأثير: "عمد إلى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لا يوافق هواه، فرده، ولم يخف شناعة عاجلة ولا إثما عاجلا"[3]، وكان يزيد يرى أن سياسة الترهيب والعنف هي الأجدى والأنفع، وكان يعتبر أن انتقال البربر إلى الإسلام قد أدى إلى ضياع مورد هام من موارد الدولة، وهو الجزية ولذلك بادر منذ توليته الخلافة إلى عزل إسماعيل بن أبي المهاجر.

1- عبد الكريم الفيلالي: التاريخ السياسي لبلاد المغرب، ط1، شركة تاس للطباعة، القاهرة، 2006، ج1، ص382

2- محمود إسماعيل: الخوارج ، المرجع السابق، ص34.

3- ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص332.

وولى على افريقية يزيد بن أبي مسلم (102-103هـ/720-721م) مولى الحجاج، وصاحب شرطته[1]، فحذا حذو الحجاج في سوء معاملة الرعية والقسوة عليهم فاستبد مع البربر وفرض عليهم الجزية[2]، واستخف بهم واشتد عليهم في جمع أموالهم وسبي نسائهم،حتى أوغر عليه صدورهم،فقتله البربر بعد شهر من ولايته[3]، وصفه ابن عذارى بأنه: "كان ظلوما غشوما"[4].

وجرى عبيدة بن عبد الرحمن السلمي(109-114هـ/727-732م) على نفس النهج، حتى "جمع من الإماء والجواري والعبيد والخصيان والدواب والذهب"[5] الشيء الكثير، وازدادت الأحوال سوءا إبان ولاية عبيد الله بن الحبحاب(116-123هـ/734-742م) الذي أسرف في سياسته، فجند الجيوش لسلب البربر وسبيهم في أقاصي المغرب[6]، وبالإضافة للولاة كان العمال أيضا يبتزون السكان.

1- الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت: في النصف الأول من القرن الخامس الحادي عشر ميلادي): تاريخ افريقية والمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990، ص63.

2- الجزية : هي مال يؤخذ من أهل الذمة في مقابل الزكاة التي تؤخذ من المسلمين، وهي ضريبة رؤوس، وقد وقعت التفرقة بين مصطلح الجزية والخراج فيما بعد وكانت الجزية اسبق ظهورا وقد وردت في القران الكريم :" حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" سورة التوبة، الاية28 (موسى لقبال: المرجع السابق، ص139

3- ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص240

4- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص48.

5- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص292

6- البلاذري:المصدر السابق،ص324.

فهذا عمر بن عبيد الله المرادي عامل طنجة لابن الحبحاب، قد "أساء السيرة وتعدى في الصدقات العشر[1]، وأراد أن يخمس[2] البربر و زعم أنهم فيء[3] المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله"[4].

ومن خلال هذه الروايات نستخلص نظرة خلفاء بني أمية لبلاد المغرب وهي النظرة التي عبر عنها جورج مارسيه بقوله:"بلاد المغرب في ذهن الحكام المشرقيين هي دائما أرض غنيمة[5] لإثراء المنتصرين"[6]، وعلى الرغم من المبررات التي يسوقها بعض الدارسين لتبرير الإجراءات التي كانت تقوم بها الدولة الأموية في البلاد المفتوحة، كشساعة ممتلكات الأمويين، وتوقف عملية الفتح، مما أفرغ خزينة الدولة، إلا أن فترة حكم عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/718-720م) تعتبر خير رد على هؤلاء.

ففي عهد هذا الخليفة الصالح ازدهرت الدولة، وامتلأت الخزينة، رغم تراجعه عن سياسة أسلافه من الخلفاء، التي كانت تعتمد على السبي والغنائم والجزية، وأعاد الاعتبار لنساء البربر من خلال رسالته المعروفة حول بنات

1- العشور هي ضرائب تؤخذ من تجار المشركين على بضائع ادخلوها إلى دار الإسلام ، وتقدر بالعشر، أو بنصفه- على حسب المصلحة العامة ووضعية التجار(موسى لقبال: المرجع السابق، ص140).

2- يخمس: أي يأخذ الخمس من البربر كرقيق

3- الفيئ: هو المال الذي يصل إلى المسلمين دون سعي ولا ايجاف خيل ولا ركاب، والحكم فيه: أن يقسم إلى خمسة أقسام، تودع أربعة أخماس في بيت المال، وكانت من قبل تقسم بين الجند وتشترى بها الأسلحة والمعدات، ويقسم الخمس الباقي على خمسة أجزاء؛ جزء لرسول الله ينفق منه على نفسه- وقد سقط بموته- والأجزاء الأربعة سهم لذوي القربى من آل الرسول، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل(موسى لقبال : المرجع السابق، ص139).

4 - الرقيق القيرواني:المصدر السابق، ص73.

5- الغنائم : هي اموال الكفار التي يضفر بها المسلمون في دار الحرب على وجه الغلبة والقهر ، وتكون أسرى من المحاربين، وسبايا من النساء والأطفال وأموالا منقولة وأراضي، وحكم الإسلام في الغنائم ان تقسم سوية بين المحاربين(موسى لقبال: المرجع السابق، ص139).

6- جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل،منشاة المعارف، الإسكندرية،1999،ص48.

البربر، والتي قال فيها: "من كانت عنده لواتية، فليخطبها إلى أبيها أو فليردها إلى أهلها"[1].

ومن بين الباحثين الذين دافعوا عن سياسة خلفاء بني أمية الاقتصادية المفكر عبد الله العروي ، الذي اعتبر أن كل دولة لها التزامات تفرض عليها تنظيم الإنتاج، وإجبار الناس على أداء ضريبة الخراج، ويذهب العروي أبعد من ذلك حين يقوم بمهاجمة المؤرخين القدامى، والدارسين المحدثين الذين نقلوا عنهم، على اعتبار أنهم قاموا بمهاجمة الخلافة الأموية لاعتمادها على الخراج والجزية، واعتبر أن هذه الإجراءات ضرورية لتشييد أركان دولة إسلامية قوية، معتبرا أن رد فعل المغاربة العنيف تجاه هذه الإجراءات يعود إلى قطع المغاربة لأي صلة مع السلطات المركزية التي توالت على حكم بلاد المغرب.

واعتبر أن هذه الثورات ضد الأمويين هي تتمة لحروب القرنين الخامس والسادس التي استهدفت كل حكم مركزي غير بربري[2]، إلا أن الوفد الذي ارتحل إلى دمشق لعرض ما يعانيه المغاربة، من ولاة بني أمية على الخليفة، يفند تأويلات عبد الله العروي، فالروايات تناقلت أخبار هذا الوفد الذي أقام بدمشق ينتظر مقابلة الخليفة لعرض شكواه، واستطلاع حقيقة علم الخليفة بتصرفات ولاته في بلاد المغرب،لكن مقامهم طال وزادهم نفد.

فأتوا وزير هشام بن عبد الملك وقالوا:" أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا أصاب نفلهم دوننا، وقال هم أحق به، فقلنا هو أخلص لجهادنا، وإذا حاصرنا مدينة قال: تقدموا، وأخر جنده، فقلنا: تقدموا فإنه ازدياد في الجهاد، ومثلكم كفى إخوانه، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم، ثم إنهم

1- البلاذري: المصدر السابق،ص316.

2- عبد الله العروي: المرجع السابق، ص142،143 .

عمدوا إلى ماشيتنا، فجعلوا يبقرونها عن السخال، يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد، فقلنا: ما أيسر هذا لأمير المؤمنين فاحتملنا ذلك، وخليناهم وذلك.

ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا:لم نجد هذا في كتاب ولا سنة نحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم، أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا؟[1].

هذه الرواية تؤكد أن سبب ثورة المغاربة على عمال بني أمية هو تعسفهم و نهمهم بالسبي والمغانم، كما يقول السلاوي:"كثر عبثهم بأموال البربر"[2]، أما فيما يخص قطع المغاربة لأي صلة مع أي سلطة مركزية فرواية الطبري تفند ذلك ،حيث يقول:"...فما زالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم، إلى زمن هشام بن عبد الملك؛ أحسن أمة سلاما وطاعة، فلما دب إليهم أهل العراق، واستثاروهم، قالوا: إنا لا نخالف الأئمة (يقصدون خلفاء بني أمية) بما تجني العمال، ولا نحمل ذلك عليهم"[3].

يتبين لنا مما سبق ذكره أن ثورات المغاربة كانت تختمر بشكل متسارع نتيجة لمحاولات الخلافة المركزية، فرض المزيد من الضرائب وعبث الولاة بأموال المغاربة وأعراضهم،كما وقفنا على نظرة الأمويين لبلاد المغرب حيث كانوا يعتبرونها كمصدر للغنائم وارض جباية يجب عليها أن تغذي خزينة دمشق بموارد ثابتة، كما رأينا أن المغاربة استنفذوا شتى الحلول، لكبح جماح ولاة بني أمية، من ذلك إرسال وفد إلى دمشق لاستبيان الأمور.

1- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير(ت310ه/922م): تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ط2 دار المعارف، القاهرة، 1967، ج4 ، ص254،255 .

2- السلاوي ،أبو العباس احمد بن خالد الناصري ، (ت 1315ه) :الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج1ص48.

3- الطبري: المصدر السابق، ج4، ص254.

ثالثا: الأسباب الاجتماعية لثورات المغاربة ضد الخلافة

تعددت زلات ومساوئ العهد الأموي الأخير، ولم تقتصر على الجانب السياسي والاقتصادي فحسب، بل شملت جوانب أخرى أشد بلاء على البلاد المفتوحة، هذه الممارسات تمثلت في العصبية القبليةِ، والاستعلاء العربي على أجناس البلدان المفتوحة، وخاصة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز، حيث ألت الخلافة إلى اثنين من أشد الأمويين إغراقا في العصبية القبلية، هما يزيد بن عبد الملك(101-105هـ/720-724م)[1]، وهشام بن عبد الملك(105-125هـ/724-743م)، فقد كان يزيد يميل إلى المضرية، فتعقب اليمنية بالأذى حتى نفروا منه، وامتلأت نفوسهم بالثورة عليه.

بينما كان هشام ميالا لليمنية[2]، وغرض الخليفتان من ذلك هو إيجاد نوع من التوازن بين القبيلتين الرئيسيتين، المضرية واليمنية[3]، فعلى الرغم من أن هذا الصراع بين القبيلتين لم يكن موجودا قبل الإسلام، إلا أن طبيعة دولة بني أمية التي نهض بها العرب القيسيين واليمنيين، أفرزت هذا الصراع بين الحيين العربيين، للاستحواذ على السلطة[4]، فأخذت عواصف القبلية تعصف بالدولة حتى امتدت إلى ولاياتها بما فيها بلاد المغرب والأندلس التي عانت أشد العناء من هذه الخصومات[5]، فقد أدخل ولاة بني أمية المغاربة في صراعاتهم القبلية،

1- يزيد بن عبد الملك : بويع بالخلافة لما مات عمر بن عبد العزيز في سنة 101هـ، وتوفي سنة 105 وعمره أربعون سنة ، وكان قد عهد بالخلافة إلى أخيه هشام (أبو الفدا: المصدر السابق، ج1، ص251،253).

2- حسين مؤنس، فجر الأندلس: المرجع السابق، ص204.

3- عبد العزيز فيلا لي: المرجع السابق، ص43.

4- نفسه : ص43.

5- حسين مؤنس: فجر الأندلس، المرجع السابق، ص205.

مما كان سببا في نفور كثير من القادة البربر وقبائلهم، الأمر الذي أدى إلى اندلاع الثورات ضد ولاة بني أمية سنة 122هـ/739م[1].

ولم تقتصر هذه العصبية والعنصرية على الحيين العربيين، بل تعدتها إلى التعصب ضد البربرِ، والاستخفاف بهم،فهذا يزيد بن أبي مسلم(102-103هـ/720-721م)، أراد أن يطبق على البربر التقليد الرومي الذي كان يميز رجال الحرس[2]عن بقية الناس، فعزم على وشم اسم الرجل على يده اليمنى، وصفته كحرس على راحة يده اليسرى، حتى يتميزوا بها عن بقية الناس، لكن جند الحرس اعتبروا ذلك استخفافا بهم، فثاروا عليه وقتلوه[3]، بعد شهر من ولايته[4]، وولوا على أنفسهم محمد بن يزيد مولى الأنصار، وكتبوا إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك:"إنا لم نخلع أيدينا، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون، فقتلناه"[5].

وهذه الرواية تفند ما ذهب إليه المؤرخون الفرنسيون كجورج مارسيه وهنري فورنل "henri fournel" ومن حذا حذوهما من الباحثين، أن انتفاضة المغاربة تعود لسبب بسيط ووحيد هو مقاومة السكان الأصليين للبلاد:البربر، للعرب الدخلاء ولو كان الأمر كذلك لما ولى المغاربة على أنفسهم محمد بن يزيد مولى الأنصار وهو عربي، وكان بإمكانهم اختيار بربري منهم والخطأ المنهجي الذي وقع فيه هؤلاء الدارسون هو عزلهم أحداث المغرب الإسلامي عن أحداث المشرق في دراسة قضايا التاريخ الإسلامي.

1- عبد الكريم الفيلالي: المرجع السابق،ج1،ص384.

2- الحرس: لم يكن خاصا بيزيد ، بل كان حرس الولاة ، وهذا الحرس يتبع الدولة ، مما يدل على استقرار نظم الدولة، وكان هذا الحرس يتكون من البربر وخاصة البتر(الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 64.)

3- نفسه: ص64.

4- ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص354.

5- ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص354.

فهذه المعارضة تعود أساسا كما يقول الحبيب الجنحاني إلى مقاومة نظام سياسي واقتصادي واجتماعي معين وليست قضية عنصرية بربرية ضد عنصرية عربية[1]، وتعتبر ولاية ابن الحبحاب (116-123هـ/734-742م) من أصعب الفترات التي مرت على البربر، فبلغ من استخفافه أن اعتبر البربر جميعا فيئا للمسلمين من أسلم منهم ومن لم يسلم[2]، وكان يدفع بالبربر لحصار المدينة التي يريد فتحها، ويقدمهم في الجيش المحارب ليهلكوا دون سائر الناس، ثم يحرمهم بعد ذلك من العطاء كما جاء في شكوى الوفد الذي ذهب إلى دمشق[3]، فأول قضية طرحها الوفد هي مشكلة تمس المغاربة الذين انضموا إلى جيوش المسلمين[4].

وهذا يدل على أن المغاربة انخرطوا مبكرا في جيش المسلمين، ومنهم من اندرج اسمه في الديوان[5]، وحسان بن النعمان كان يسوي بين العرب والبربر في قسم فيء الحروب ومغانمها، أي انه لم يعتبر العربي حاكما والبربري محكوما، فالبربر حرصوا على أن لا يعاملهم العرب معاملة خاضع محكوم[6]، إذ كانت العلاقة بين العرب والبربر علاقة زمالة سلاح على حد تعبير الكاتب حسين مؤنس، فلا يستطيع العربي أن يخاطب البربري الذي أسلم، وحارب في صفوف المسلمين كما يخاطب مزارعا يقدم له غلة أرض .

1- الحبيب الجنحاني :المرجع السابق ،ص202.

2- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص73.

3- الطبري: المصدر السابق، ج4، ص254، 255.

4- محمد بن عميرة: دور زناته في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص63.

5- حسين مؤنس: فجر الأندلس، المرجع السابق، ص223،

6- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، المرجع سابق، ص275، 276.

ومن هنا كان لابد من وضع سياسة خاصة بالمغرب[1]، لأن البربر يتقاطعون في صفات كثيرة مع العرب، فهم يشبهونهم في حب التحرر ويألفون الاستقلال منذ القدم، كما أنهم جنس غضوب ومحارب[2].

ومما زاد في نقمة البربر أنه في عملية فتح الأندلس لم تعط لهم أثناء التوطين أماكن تتماشى ودورهم في عملية الفتح، فقد تم تركيز العرب في الأراضي المنخفضة الخصبة، في حين تم توطين البربر في أراضي مرتفعة وأقل خصوبة[3]، رغم أن الجيش الذي فتح الأندلس كان يتألف في غالبيته من البربر، حيث تقول الروايات أن تعداده كان سبعة آلاف، جلهم من البربر[4] .

ويروي ابن خلدون أن الجيش كان يتألف من أربعة قبائل، كلها متفرعة من زناتة، وهي: مطغرة، مديونة، ومكناسة وهوارة[5]، وعندما سمع الناس بالنصر بالنصر الذي أحرزه طارق، والغنائم الوفيرة التي حصل عليها اتجه البربر نحو الأندلس من كل حدب وصوب ،"وتسامع الناس من أهل العدوة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغانم فيها ،فاقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا بطارق"[6]، وهذه الرواية تعزز

1- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص68.

2- محمد بن عميرة: المرجع السابق ،ص64.

3- لطيفة البكاي: حركة الخوارج ،نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (37-132هـ)، دار الطليعة ، بيروت، ط1، 2001، ص217.

4- المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998، ج1، ص189

5- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص155.

6- المقري: المصدر السابق، ج1، ص209.

رأي محمد عبد الحي شعبان الذي أكد أن الإجراء المتمثل في منع البربر من الانتقال إلى الأندلس بعد فتحها هو الذي أشعل نيران ثورة 122هـ[1].

والحقيقة أن عقدة الترفع عند العرب التي تضخمت بقدر لا يستهان به من الاحتقار الموجه لأولئك الذين لم يكونوا من سلالتهم معروفة، ولم يستثن المغاربة من ذلك[2]، فقد وصفهم حسان بن النعمان في كتابه الموجه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان بعد هزيمته أمام الكاهنة[3] قائلا: "وان أمم المغرب ليس لها غاية، ولا يقف احد منها على نهاية، كلما بادت أمة، خلفتها أمم وهي من الجهل والكثرة كسائمة النعم"[4].

ولابن قتيبة رواية مفزعة عن إيغال موسى بن نصير في دماء البربر حيث يقول:"غزا موسى سجومة[5]، من المغرب الأوسط فزحف بكل جيشه حتى وصل إلى نهر ملوية[6]، وهناك اصطدم مع ملكهم، فقتله وبلغ سبيهم مائتي ألف ألف رأس فيهم بنات كسيله، ومالا يحصى من النساء السلسات اللاتي ليس لهن ثمن ولا قيمة، ثم بعث موسى إلى عياض وعثمان وعبيدة بني عقبة بن نافع، فقال: "اشتفوا، وضعوا أسيافكم في قتلة أبيكم عقبة"، فقتل منهم عياض ستمائة

1- محمد عبد الحي شعبان: المرجع السابق، ص168.

2- محمد الطالبي:الدولة الأغلبية التاريخ السياسي،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص23.

3- الكاهنة : دهيا بنت ماتيا بن تيفان ، ملكة جبل أوراس ، وقومها من جراوة ملوك البتر وزعمائهم، كانت ضخمة الجسم جدا حتى وصفها من رآها إذ قال: إن الاترجة يمكن أن تتدحرج بين كتفيها(ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص143) .

4- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 36.

5- سجومة أو سكوما أو سجوما على مقربة من مدينة فاس، وتعتبر من مدن قبيلة أورية البرنسية بالمغرب الأقصى ((البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من الكتاب المعروف بالمسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد، العراق، ص117) .

6- نهر ملوية: من انهار المغرب الأقصى، ينبع من الجبال الجنوبية، فيما وراء تازا، ويخترق مكناسة، ويصب في البحر المتوسط قرب جراوة (ابن حوقل: ابو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي البغدادي (ت367هـ/977م)، صورة الأرض، ص88)

رجل من خيارهم وكبارهم، وكان يود قتل المزيد لو لا أن أمره موسى بالتوقف عن ذلك[1].

فهذه الرواية التي تفوح منها رائحة الانتقام، يستشف من خلالها أن الرجال الذين قتلهم عياض كانوا عزل من السلاح، وحتى إن كانوا غير مسلمين، فلا يجوز قتلهم بهذا الشكل.

يتبين لنا مما سبق ذكره أن النظرة الاستعلائية للأمويين تجاه سلالات البلدان المفتوحة بما فيها المغاربة وعدم معاملتهم بندية ، رغم إسهاماتهم في عملية فتح الأندلس، وكذا محاولة تصدير العصبية القبلية إلى هاته البلاد، عجل باندلاع الثورات على الأمويين.

رابعا: الأسباب المذهبية لثورات المغاربة ضد الخلافة

في ظل الظروف التي عرفتها بلاد المغرب، بداية القرن الثاني للهجرة، وجد دعاة الخوارج المناخ ملائما لنشر أفكارهم و مبادئهم، مستغلين بعد بلاد المغرب عن مركز الخلافة من جهة، وحب المغاربة للجنوح نحو العدل والمساواة، اللذين كانا قد نعما بهما منذ الفتح الإسلامي إلى ولاية يزيد بن أبي مسلم (102-103هـ/720-721م) من جهة ثانية[2]، و كان الرباط على الثغور والسواحل المغربية من أهم ما أعان الخوارج على نشر مذهبهم[3] .

يقول الطبري :"فما زالوا من اسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك، أحسن امة سلاما وطاعة، حتى دب إليهم أهل العراق فلما دب إليهم دعاة أهل العراق واستثاروهم، شقوا عصاهم، وفرقوا بينهم إلى اليوم[4] "،

1- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم :الإمامة والسياسة، مطبعة النيل، 1904، ج2، ص106.

2- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص300.

3- موسى لقبال:المرجع السابق، ص153.

4- الطبري: المصدر السابق، ج4، ص245.

فمن أهم العوامل التي ساعدت على نشر الحركة الخارجية في بلاد المغرب، هي حركة الدعاة الذين وجدوا بيئة المغرب نموذجا وتربة خصبة لزرع أرائهم و بث دعوتهم ، وتقوية صفوفهم، وقد انتقل بعض المغاربة إلى العراق، وتعلموا أصول الحركة الخارجية في البصرة على يد فقيه الخوارج مسلم بن أبي كريمة مولى بني تميم[1] .

يقول ابن خلدون: " ثم نبضت فيهم عروق الخارجية، فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقلة ممن سمعها بالعراق، وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها من الإباضية والصفرية... [2].

وكان دعاة الخوارج يتحينون الفرص، ويعملون على إقناع المغاربة بالثورة على ولاة بني أمية، وإعطاء شكل ديني لمطالب المغاربة السياسية والاقتصادية[3]، إلا أن المغاربة لم يعتنقوا الآراء الخارجية بسهولة، والدليل قولهم في الرواية التي رواها الطبري:"لا نخالف الأئمة (يقصدون خلفاء بني أمية) بما تجني العمال، ولا نحمل ذلك عليهم، فقالوا لهم (أي دعاة الخوارج): إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك فقالوا:حتى نختبرهم..."[4] .

وفي واقع الأمر أن ظروف المغرب كانت مواتية لاندلاع الثورات بعد تفاقم مشاكل البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية إبان ولاية عبيد الله بن الحبحاب[5]، بالإضافة كما يقول ابن خلدون إلى خفوت صوت الخلافة في المشرق[6]، وهناك من الدارسين من ينفي صلة هذه الثورات بالحركة الخارجية،

1- موسى لقبال : المرجع السابق ،ص153.

2- ابن خلدون: المصدر السابق،ج6 ،ص144

3- محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص67.

4- الطبري: المصدر السابق، ج4، ص254.

5- محمود إسماعيل:الخوارج ، المرجع السابق، ص60

6- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 145.

مثل الباحث محمد عبد الحي شعبان الذي يؤكد أن كل محاولة للربط بين الحركتين لا تقوم على أي أساس، ولا تؤيدها المصادر، معتبرا أن الدلائل المتوفرة في ما يسمى بالمصادر الإباضية هي تصوير رومنطقي مبالغ فيه[1] .

كما أن بعض العناصر حديثة العهد بالإسلام ، حاولت عن طريق تأييد الحركة الخارجية، إفساد الإسلام، ذلك أن أحد رؤساء أول ثورة ظهرت، كان عبد الأعلى بن جريج الرومي الأصل، وهو من موالي ابن نصير، فقد كان هذا الرجل إمام الصفرية، في انتحال مذهبهم، على حد تعبير صاحب كتاب الاستقصا.[2]

مما سبق ذكره نستنتج أن الخوارج عملوا على الاستثمار في سخط وتذمر المغاربة، من الحكم الأموي، فعملوا على إعطاء شكل ديني لمطالب المغاربة السياسية والاجتماعية، بغية إقناعهم بالثورة على الحكم الأموي.

1- محمد عبد الحي شعبان: المرجع السابق، ص169.

2- السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص49.

الفصل الثاني

مجريات وأحداث ثورات البربر في المغرب ضد خلافة المشرق

أولا: ثورة ميسرة المطغري 122هـ / 740م

1- فشل وفد البربر في مقابلة الخليفة الأموي :

بالرغم من أن نفوس المغاربة كانت تئن جراء الممارسات التعسفية لولاة بني أمية، و تحفزهم للخروج على عمالهم والثورة ضدهم، إلا أنهم فكروا في إصلاح الوضع بصفة سلمية، قبل رفع السلاح وإعلان الثورة على ممثلي الخلافة الأموية في بلاد المغرب، وهذا ما تجسد من خلال الوفد الذي تنقل إلى دمشق، لمقابلة الخليفة: هشام بن عبد الملك، كما سبق ذكره في الفصل الأول[1].

ويتضح أن فشل وفد البربر في مقابلة الخليفة: هشام بن عبد الملك، كان دافعا قويا لانفجار الثورة[2] سنة 122 هـ / 739م-740م بقيادة ميسرة المطغري[3]، حيث كانت النفوس مهيأة للثورة، فأخذوا يتحينون الفرصة المناسبة للخروج على الوالي وعماله، فجاءت فرصة غياب معظم جند العرب في حملة إلى صقلية[4] بقيادة: حبيب بن أبي عبيدة الفهري[5]، فأعلن إثر ذلك المغاربة قيام الثورة على عامل عبيد الله بن الحبحاب بإقليم طنجة[6] في المغرب الأقصى[7]، الذي كان يعج بالمتذمرين من سياسة العامل: عمر بن عبد الله المرادي، الذي

1- الطبري: المصدر السابق، ج4، ص 254.

2 – عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق، ص 48.

3 – ميسرة المطغري: المعروف في المصادر العربية بالخفير أو الفقير، أو الحقير كان سقاء يبع الماء في سوق القيروان، وكان شيخ من شيوخ مطغرة البترية وكان عالما مستنيرا، فساءه أن لا يصغي الخليفة لشكاية قومه، فعزم على الانتفاض على العرب (عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ج2، ص304)

4 – صقلية : بثلاث كسرات، وتشديد اللام، والياء أيضا، والبعض يقول بالسين، وهي : من جزائر بحر الروم، مقابلة لإفريقية، وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية وأخرى، مسيرة سبعة أيام، بين الجزيرة وبر إفريقيا مائة وأربعون ميلا إلى أقرب مواضع إفريقيا، وهي جزيرة كثيرة البلدان، والقرى والأمصار(ياقوت الحموي:المصدر السابق، ج1، ص 473)

5 – ابن عذاري: المصدر السابق، ص52.

6 – طنجة: مدينة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء بينها وبين القيروان ألف ميل، و بينها وبين سبتة يوم واحد (ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص182).

7 – ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص293.

أساء السيرة، وتعدى الصدقات، وأراد تخميس البربر، ذلك ما لم يفعله عاملٌ قبله، فإنما كان الولاة وعمالهم يخمسون من لم يدخل الإسلام[1]، وكانت هذه السياسة الخرقاء سببا في تأليب هذه القبائل وغيرها من قبائل المغرب الأقصى على عمال الخلفاء"[2]، فساهم من حيث لا يدري في إذكاء نار الثورة.

2- ميسرة يتزعم انطلاق الثورة:

ففي سنة 122هـ/739م، خرج ميسرة على عمر بن عبيد الله المرادي بطنجة، فقتله، وولى مكانه عبد الأعلى بن جريج، ثم توجه على رأس جيش من الثوار إلى السوس الأقصى، لقتال إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب، فتمكن من هزمه وقتله[3] وهكذا اتسع نطاق الثورة وهذا حسب أقوال بعض المؤرخين، فابن عذارى يقول".. ثارت البرابر كلها مع أميرهم ميسرة..."[4]، ووصف الرقيق القيرواني اتساع نطاق الثورة بقوله: "... إن البربر تداعت بأسرها..."[5] وذلك بانضمام قبائل مكناسة وغمارة.

إثر هذه الأحداث، بدأ والي افريقية عبيد الله بن الحبحاب، في التحرك الفعلي فكتب إلى حبيب بن أبي عبده الفهري[6]، الذي خرج لغزو صقلية، بالعودة

1- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص73.

2- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ص66.

3- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص 293.

4- ابن عذاري: المصدر السابق،ج1، ص52.

5- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص73.

6 -حبيب بن ابي عبيدة: هو والد عبد الرحمن الفهري الذي استولى على ولاية افريقية من حنظلة بن صفوان، سنة 129هـ/747م، وكان حبيب احد قادة ابن الحبحاب في افريقية وذهب بحملة إلى صقلية، وعندما تازم الموقف= = واشتد على ابن الحبحاب استدعاه لكي يقمع ثورة البربر التي شملت افريقية سنة 122هـ/738م، توفي حبيب في هذه السنة (ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص52)

بالعودة السريعة، ثم جهز جيشا من خيرة رجاله، فجعل على مقدمته: خالد بن أبي عبيدة الفهري، سيره إلى ثوار البربر[1].

سار جيش خالد بن حبيب من القيروان حتى وصل إلى وادي الشلف، بالقرب من تاهرت، ثم إلى طنجة[2]، فلقيه ميسرة بمجموعة فاقتتلوا قتالا شديدا لم ير مثله، ثم انصرف ميسرة إلى طنجة، وأنكرت البربر عليه سيرته وتغيره عما كانوا بايعوه عليه فقتلوه[3].

ويذهب محمود إسماعيل إلى أن ميراث المشاحنات القبلية التقليدية، هو الذي تسبب في إقصاء ميسرة عن زعامة الثورة، وتولية خالد بن حميد الزناتي بدلا منه وكان ذلك محاولة من زناته لتزعم الثورة وإقصاء مطغرة عن مركز الصدارة.[4]

وبهذا نستخلص أن ثورة ميسرة المطغري بالمغرب الأقصى، كانت البداية الأولى لانطلاق الثورات ضد الخلافة الأموية، حيث يقول ابن عذاري: "... فثارت البربر بالمغرب الأقصى، فكانت أول ثورة فيه وفي افريقية وفي الإسلام.."[5]

وبعد مقتل ميسرة المطغري، آلت زعامة البربر وقيادة ثورتهم إلى رجل من قبيلة زناته يدعى: خالد بن حميد الزناتي[6]، الذي قاد ثورة الأشراف.[7]

1- ابن عبد الحكم: المصدر السابق،ج1، ص293.

2- عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص306.

3- ابن عذارى: المصدر السابق،ج1، ص53.

4 – محمود إسماعيل: الخوارج، المرجع السابق، ص103.

5- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص52.

6 – خالد بن حميد الهتوري الزناتي: هو أحد قواد البربر البتر، من قبيلة زناتة، اعتنق مبادئ الخوارج الصفرية، تولى قيادة البربر في ثورتها على العرب، بعد مقتل ميسرة المطغري، وتمكن من هزيمة العرب هزيمة منكرة، قتل فيها كثير من أشراف العرب عام 122هـ/ 740م(ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص417.)

7- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص53.

ثانيا: ثورة الأشراف 122هـ/ 740م

1- زناتة تقود الثورة:

بعد تولي خالد بن حميد الزناتي قيادة ثورة البربر، تجمع حوله الثوار الذين قادهم، ولم ينتظر حتى يدخل العرب طنجة، بل استأنف القتال، وقد فاجأ خالد بن حميد الزناتي وأصحابه العرب من الخلف وتكاثروا عليهم، فلم يستطع العرب الصمود أمام جيوش البربر الكثيفة، فانهزموا هزيمة منكرة لم يسمع مثلها، وقتل خالد بن حبيب بن عبيده الفهري، ومن معه، وقد عبر ابن الأثير[1] عن هذه الموقعة بقوله"... ولم يبق من أصحابه رجل واحد، فقتل في تلك الموقعة حماة العرب ورؤسائها، وسادتها وأبطالها فسميت غزوة الأشراف" وكان ذلك في أواخر عام 122هـ/739م أو في محرم عام 123هـ/740م.

ويذكر بعض الباحثين أن ابن الحبحاب قد طلب من واليه على الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي أن يقضي على الثورة، فعبر الى افريقية وقاتل البربر، لكنه لم ينجح في إخماد الثورة، فقد ثار عليه أتباعه فخلعوه، واختاروا عبد الملك بن قطن الفهري[2]، وعلى الجانب الآخر وصل جيش حبيب بن أبي عبيدة من صقلية، فأرسله ابن الحبحاب، في إثر جيش خالد، لكن حبيب عسكر عند وادي الشلف ولم يتقدم[3].

ويرى الدكتور سعد زغلول أن وصول حبيب من صقلية، كان بعد وصول نبأ ثورة الأشراف، وقد اعتمد في ذلك على رواية ابن عبد الحكم[4]، وقد اختلفت الأمور على عبيد الله بن الحبحاب، فاجتمع الناس وعزلوه[5]، بعد أن أصبح لا

---

1 – سعد زغلول: المرجع السابق، ج1، ص291.

2 – نفسه: ص257.

3 – ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص294.

4- نفسه: ج1، ص292-294.

5- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص75

حول لـه ولا قوة، ولا يدري ماذا يفعل، ويبدو أنـه فقد السيطرة على البلاد، وفـي هذه الحالـة ربمـا كـان من الأفضل لـو أبقـى ابـن الحبحـاب جيش حبيـب فـي القيروان، ومن المستبعد أن يجازف بإرساله، وعلى الأرجح فإن ابن الحبحاب أرسل جيش حبيب في إثر جيش خالد قبل وصول خبر موقعة الأشراف لـه، لذلك لم يشأ حبيب اللحاق بخالد فقد فضل أن يعسكر عند وادي الشلف عندما سمع بواقعة الأشراف[1].

2- وصول أنباء الثورة إلى الخليفة الأموي :

ولما وصلت أخبار ثورة المغاربة إلى مسامع الخليفة هشام بن عبد الملك غضب غضبا شديدا، فقال قولتـه الشـهيرة: "والله لأغضبن لهم غضبة عربيـة، ولأبعثن إليهم جيشا أولـه عندهم، وآخره عندي، ثم لا تركت حصن بربري إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيس، أو تميمي..."[2].

ثـم كتـب الخليفـة إلـى الـوالي ابـن الحبحـاب يـأمره بالحضـور إلـى مقـر الخلافة فـي جمادى الأولى سنة 123هـ/741م[3]، ويذكر ابن عذارى أن النـاس اجتمعوا بعد هذه الأحداث، وقاموا بعزل والـي افريقيـة ابن الحبحـاب وذلك سنة 123هـ[4]، بينما يذكر السلاوي أن أعيان العرب هم من عزلوه[5].

وفعلا برّ الخليفة هشام بقسمه ، فأرسل جيشا عربيا بقيادة الوالي الجديد علـى بـلاد المغـرب، كلثـوم بـن عيـاض القشـيري[6] وذلـك عـام 123هـ/741م[1]،

---

1 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص53.

2- نفسه: ج1، ص54.

3- ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص417.

4ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص54.

5- السلاوي: المصدر السابق،ج1، ص49.

6 –كلثوم بن عياض القرشي: تولى قيادة افريقية والمغرب في جمادى الثانية سنة 123هـ/ 741م، كلفه الخليفة هشام بن عبد الملك باخماد ثورة البربر، فقتل وهو يقوم بهذه المهمة في موقعة بقدورة في نفس السنة (ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص294)

ويظهر أن إعداد جيش كلثوم وقدومه إلى القيروان قد تم بسرعة كبيرة، حيث أنه تحرك من الشام في شهر جمادى الآخر سنة 123هـ/741م[2]، فوصل إلى مدينة القيروان في شهر رمضان من نفس السنة[3]، وهذا يدل على أن الخلافة الأموية كانت تريد القضاء بمنتهى السرعة على الثورة قبل انتشار أمرها، وامتدادها إلى مناطق أخرى فيتعذر القضاء عليها.

الهزائم التي لحقت بجيش الخلافة الأموية في بلاد المغرب وخاصة في موقعة الأشراف أحرجت الخليفة نفسه، فكان لا بد له من ردة فعل على ذلك، وهذا ما تمثل في إرسال جيش بقيادة الوالي الجديد كلثوم بن عياض القشيري للتصدي للبربر وثوراتهم.

1 – ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص 294.

2– ابن عبد الحكم: المصدر نفسه، ج1، ص294.

3– ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص54.

ثالثا: موقعة بقدورة 123هـ/741م

1-توجيه جيش الخلافة نحو المغرب :

بعد غضب الخليفة هشام بن عبد الملك لهزيمة جيشه في موقعة الأشراف أرسل جيشا بقيادة كلثوم بن عياض القشيري، وقد اختلفت الروايات في تحديد عدد هذا الجيش، فيذكر صاحب: أخبار مجموعة أنه بلغ سبعين ألفا من العرب، وهو عبارة عن سبعة وعشرين ألفا من الشام وثلاثة آلاف من مصر فبلغ ثلاثين ألفا بالإضافة إلى أهل افريقية الذين انضموا إلى جيش كلثوم، فيقول: "...خرج إليها منها-أي من افريقية- فيما يقال بشر كثير من أهل افريقية، ومن كان معه من أهل طنجة من العرب حتى تم جيشه سبعين ألفا.."[1]، وأما ابن عذارى والقيرواني، فلا يشيران إلى العدد الكامل للجيش، حيث أنهما يذكران فقط أن كلثوم خرج من بلاد الشام باثني عشر ألف جندي فقط[2].

وفي رواية أخرى لابن عذارى، أن عدد جيش كلثوم كان ثلاثين ألفا عند وصوله إلى وادي سبو[3]، وتعد رواية صاحب أخبار مجموعة أوثق هذه الروايات لأنها تقدم وصفا دقيقا لجيش كلثوم، كما أن كثوم كان يأخذ جند أو متطوعين من الأقاليم التي يمر بها كمصر، وطرابلس والقيروان، بالإضافة إلى جيش حبيب بن أبي عبيدة المعسكر بالقرب من تلمسان[4]، ويذكر ابن الأثير أن حبيب بن أبي عبيدة كان يقف في مواجهة البربر عندما وصلت جيوش الخلافة إلى افريقية[5].

---

1 – مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص37.

2- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص54،

3- نفسه، ج1، ص55.

4- سعد زغلول: المرجع السابق، ج1، ص262.

5- ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص417.

فقد سار كلثوم بن عياض بقواته نحو طنجة، بعد أن استخلف عن القيروان عبد الرحمان بن عقبة الغفاري، وعلى الحرب مسلمة بن سوادة القرشي[1]، حتى وصل إلى حبيب بن أبي عبيدة في وادي الشلف حسب ابن عذارى والرقيق[2]، وفي تلمسان حسب ما يذكر السلاوي[3]، ثم سارا معا نحو طنجة حيث التقوا بخالد بن حميد الزناتي ومن معه من حشود البربر، التي أفزعت الوالي الأموي كلثوم بن عياض وجيشه لكثرتهم[4].

2- التقاء الجمعان:

كان اللقاء بين قوات جيش الخليفة وبين البربر عام 123هـ/741م[5]، في المكان المسمى بقدورة[6]، أو كما يطلق عليها ابن القوطية اسم نقدورة[7]، فدارت بينهما معركة كبيرة استعمل البربر فيها الحيلة، فقد صنعوا أكياسا من الجلد وملأوها بالحجارة، وقد أخذوا يهزونها بشدة، ويقذفونها على رؤوس الخيل فكان هذا سببا في نفور الخيل، فلم يتمكن الفرسان العرب من القتال وهم على ظهورها[8] فما كان من كثلوم إلا أنه أمر جنوده بالحرب مترجلين، ولم يكن البربر يرجون أفضل من ذلك، فانقضوا على العرب، وأحاطوا بهم، وأعملوا السيف فيهم.

1- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص294.

2- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص54،

3- السلاوي: المصدر السابق، ص50.

4- مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص37.

5- نفسه: ص37

6 – بقدورة : تقع على واد سبو بالقرب من مدينة تاهرت(عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص310)

7 –بن القوطية (ت 367هـ) :تاريخ إفتتاح الأندلس، تح : إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ص 40.

8 مؤلف مجهول: المصدر سابق، ص38.

وعنـدما أحـس كلثـوم بـأن الهزيمـة آتيـة لا محالـة، أراد أن يـتخلص مـن مسؤولية الهزيمـة فـي المعركـة، فخاطـب حبيـب بـن أبـي عبيـدة قـائلا: إن أميـر المـؤمنين أمرنـي أن أوليك القتـال وأعقد لـك علـى النـاس، فقـال حبيـب قـد فـات الأوان، فزحـف البربـر علـى أثـر الخيـل حتـى خـالطوا كلثومـا وأصـحابه، فجـرح[1] وقتل عدد كبير من وجوه العرب مثل: مغيث الرومي، وهارون القرشي[2].

وانتهت المعركـة بمقتـل كلثـوم بـن عيـاض وحبيـب بـن أبـي عبيـدة وهزيمـة جيشـهما سـنة 123هـ-124هـ/741م-742م[3]، فكانـت هزيمـة فادحـة لجـيش الخليفة، وصار الجيش ثلاث فرق"فثلث أهل الجيش مقتول، وثلث منهزم، وثلث مأسور"[4]، حيث يذكر صاحب أخبار مجموعة أن البربر أخذوا يقتلون ويأسرون، ويأسـرون، حتـى أصـبح معظـم الجـيش مـا بـين مقتـول ومأسـور، وعـاد معظـم الفارين إلى افريقية عام 124هـ/742م[5].

ولـم ينجـو مـن جـيش الخليفـة سـوى بضـعة آلاف مـن العـرب وهـم حـوالي عشرة آلف وذلك بقيادة بلج بن بشر، حيث خالطهم البربر، وتكاثروا عليهم، فلم يستطع مقاومتهم[6]، فهرب إلـى طنجـة ثم اتجـه إلـى سبتة (وهـي أقـرب موقـع فـي المغرب إلى الساحل الاسباني)، فحاصرها البربر وهاجموها، لكنهم لم يستطيعوا اقتحامها لحصـانة أسوارها ومناعتها، فعمدوا إلـى تخريـب مزارعهـا، ممـا صـعب علـى العرب الإقامة بها، وأشرفوا على الهلاك من شدة الجوع[7].

1- نفسه : ص38.

2- سعد زغلول: المرجع السابق، ج1، ص298.

3- محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص74.

4- مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص39.

5- نفسه: ص39.

6- إبراهيم بيضون: المرجع السابق، ص387.

7-عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص311.

فاضطر بلج إلى طلب العون من والي الأندلس عبد الملك بن قطن، فأرسل إليهم السفن والأطعمة وذلك حسب ما يقول: السيد عبد العزيز سالم[1]، في حين يذهب إبراهيم بيضون إلى أن والي الأندلس عبد الملك بن قطن رفض مساعدتهم في البداية، إلا بعد أن اشتدت الثورة في الأندلس التي فجرها البربر في هذا الإقليم تجاوبا مع ثورة إخوانهم في المغرب[2]، ويقول ابن خلدون؛ أن ابن قطن أجابهم إلى ذلك بشرط أن يقيموا سنة واحدة، واخذ رهنهم على ذلك، وانقضت السنة وطالبهم بالشرط، فقتلوه[3] .

ومن هنا نستنتج أن أسباب انهزام جيش الخليفة متعددة، فإلى جانب وضع البربر للحجارة في الجلود اليابسة، وتعليقها في أذناب خيول جيش عياض بن كلثوم، ونفور الخيل منها[4]، فقد كانت الخلافات تنخر الجيش العربي العربي بسبب النزاع بين حبيب بن أبي عبيدة من جهة وبين كلثوم وبلج بن بشر من جهة أخرى، وإلى جانب القيادة غير الحكيمة لكلثوم وعدم أخذه برأي مستشاريه[5].

ويشير ابن عذاري إلى أن الاختلاف وسوء رأي كلثوم هو سبب انهزام جيش الخليفة هشام بن عبد الملك وذلك في قوله"كان الاختلاف سبب هلاكهم مع سوء رأي كلثوم وبلج"[6]، وكان لهذه الثورة صدى عميق[7]، إذ انتقلت من المغرب الأقصى إلى المغرب الأدنى، لاسيما بعد الانتصارات العظيمة التي

1 – عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص312.

2–إبراهيم بيضون: المرجع السابق، ص358.

3 – ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص242.

4– مؤلف مجهول: المصدر السابق، 38–39.

5– ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص293، 294.

6– ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص55.

7–محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص77.

أحرزها البربر على جيوش الخليفة هشام بن عبد الملك، لدرجة أن حنظلة بن صفوان لما وصل إلى القيروان وجد الثورة قد قطعت شوطا كبيرا في محاولة الاستقلال عن الخلافة[1]، ووجد القيروان مهددة بالسقوط في أيدي عكاشة وعبد الواحد[2].

أما خالد بن حميد الزناتي فقد انقطعت أخباره بعد تلك المعركة، ويذكر ابن خلدون بأن: رئاسة زناتة انتقلت إلى أبي قرة من بعده، والمعروف أن أبي قرة كان رئيسا لمغيلة وبني يفرن بنواحي تلمسان[3]، ومن هنا يمكن استنتاج أن قبيلة زناتة لعبت أكبر دور في ثورات البربر على الخلافة الأموية[4].

هكذا كانت انتصارات البربر الكبيرة على جيوش الخلافة الأموية، وإلحاقهم هزائم جسيمة بهم، نذيرا باشتعال الثورة في كامل بلاد المغرب وليس المغرب الأقصى فقط، فقد هبت في كل ناحية ثورة يقودها زعيم من البربر ضد العرب.

رابعا: موقعتا القرن[5] والأصنام[6] 125هـ/743م

اغتنم عكاشة الفزاري خروج الوالي كلثوم بن عياض القشيري من القيروان إلى طنجة لقتال البربر، فأعلن الثورة في منطقة قابس[7] (بتونس حاليا)، وامتدت وامتدت ثورته إلى سيرت حيث أرسل أخاه هناك[8]، فصارت القيروان بذلك

1- إبراهيم بيضون: المرجع السابق، ص358.

2-محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص77.

3- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص164.

4- محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص77.

5 – منطقة القرن: تقع بالقرب من مدينة القيروان(دبوز:المرجع السابق ص 286)

6 – منطقة الأصنام: تقع على بعد 40 كم غربي القيروان على مقربة من طنجة(حسين مؤنس:معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 65)

7 – ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص294.

8 – ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص294.

محصورة بين الثوار من الشرق والغرب، واجتمعت لعكاشة وأخيه قبائل من زناتة، سارا بهما نحو المدينة الجديدة التي عرفت بسوق سيرت، وقد حاصر أخو عكاشة المسجد الذي كان يؤدي فيه عامل سيرت حبيب بن ميمون ومن معه من الناس صلاة يوم الجمعة، ولما بلغ الخبر إلى صفوان بن أبي مالك أمير طرابلس، جهز جيشا سار به إلى أخ عكاشة الفزاري الذي كان يحاصر أهالي سيرت، فقاتله وتمكن من هزيمته، وأجبره على الهروب إلى أخيه عكاشة بقابس، وقد قتل كثير من أتباعه من زناتة وغيرها[1]، وفي نفس الوقت خرج نائب كلثوم بن عياض على الحرب مسلمة بن سوادة ومن معه من أهل القيروان، لقتال عكاشة الفزاري ومن معه لكنه لم يستطع الصمود أمامهم وقتل الكثير من أتباعه[2]، فعاد إلى القيروان مهزوما، في حين لاذت جماعة من أصحابه ومعهم سعيد بن بجرة بمدينة قابس[3].

ثم قام صفوان بن أبي مالك بناء على طلب كلثوم بن عياض بالسير نحو قابس في محاولة للقضاء على ثورة عكاشة الفزاري، في الوقت نفسه الذي خرج فيه سعيد بن بجرة ومن معهم من جماعة مسلمة بن سوادة لنفس الغرض لكن صفوان بن أبي مالك عاد قافلا إلى طرابلس، بعد سماعه بهزيمة كلثوم بن عياض في موقعة بقدورة عام 123هـ/741م ، في حين تحصن سعيد بن بجرة مع أصحابه في قابس[4].

في ظل هذه الأحداث وخاصة بعد انهزام العرب في معركتين متتاليتين هما الأشراف وبقدورة، استشعرت الخلافة الأموية الخطر الحقيقي من جانب

1- نفسه: ج1، ص294

2- نفسه: ج1، ص295.

3- سعد زغلول: المرجع السابق، ج1، ص295.

4 - ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص297-298.

البربـر، فـإذا اسـتمر الوضـع علـى مـا هـو عليـه سـيمثل تهديـدا حقيقيـا لمركـز الخلافة الأموية في بلاد المغرب والأندلس، ولهذا عمد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بتعيين والـي مصـر حنظلـة بـن صـفوان الكلبـي واليـا علـى المغرب، فوصل إليها في شهر ربيع الآخر من عام 124هـ/742م[1] ، وهو على جيش كبير يقدر بثلاثين ألف رجل، ثم أمده الخليفة هشام بعشرين ألف رجل، وخطة للقضاء على الثوار[2].

فبدأ حنظلة يعدّ لملاقاة عكاشة، فأخرج ما كان في الخزائن من سلاح ثم أحضر الأموال ونادى في الناس فأعطى الناس وخرج لمقابلة الصفرية[3]، أمر بدرع فصبت عليه وسار يأسر لكل فرد بدرع وخمسين دينارا، فلما كثر عليه الناس رد العطاء إلى أربعين ثم إلى ثلاثين، وأصبح عنده خمسة آلاف نابل ذو قوة وفتوة وشباب[4]، ويذكر القيرواني أن حنظلة، رغم ما أعده من عدة للحرب، إلا أنه أراد القضاء على الفتنة في بلاد المغرب بالسلم دون الحرب، فقد جمع علماء افريقية، فكتبوا له رسالة إلى أهل طنجة ليقتدي بها المسلمون فيجتنبوا الفتنة ويعودوا إلى الطاعة[5].

ثم بدأت مرحلة التحرك الفعلي للقضاء على الثورة، فبعث حنظلة بن صفوان القائد عبد الرحمن بن عقبة لقتال عكاشة الفزاري في منطقة الزاب[6] الذي الذي حل بها بعد هزيمته في قابس، وتمكن عبد الرحمان من هزيمة عكاشة

1- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص81.

2 – مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص41.

3- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص58-59.

4- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص80.

5- نفسه: ص79.

6 – الزاب: كورة عظيمة بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطئة بين تلمسان وسجلماسة (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص124)

وقتل عامة أصحابه[1]وبعدها انظم إلى عكاشة عبد الواحد بن يزيد الهواري وألحقوا الهزيمة بعبد الرحمان بن عقبة عام 124هـ/742م[2]، ووجه عبد الواحد بن يزيد أنظاره نحو تونس للاستيلاء عليها، فهزم جيش حنظلة بن صفوان في شهر صفر 125هـ[3]، وبعدها سقطت تونس في أيدي الثوار وبها بويع عبد الواحد بن يزيد الهواري بالخلافة[4] وفي منطقة باجة (بتونس) التقى عبد الواحد بن يزيد بجيش حنظلة وقد مني هذا الجيش بالهزيمة[5].

ثم وقفت قوات كل من عكاشة الفزاري وعبد الواحد بن يزيد بالقرب من القيروان، وقد عسكر عبد الواحد في موضع يعرف بالأصنام، ونزل عكاشة عند منطقة القرن على بعد ستة أميال من القيروان[6]، وقد طلب حنظلة بن صفوان المعونة من واليه على طرابلس معاوية بن صفوان[7]، وخرج العلماء يحثون الجيش وأهل القيروان على جهاد وقتال الخوارج ويذكرونهم ما يفعلون بالنساء من السبي وبالأبناء من الاسترقاق، ومن الرجال بالقتل[8]، كما شاركت نساء القيروان في تحريض الرجال على القتال[9].

1 – ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص298.

2 – نفسه ، ج1، ص298.

3 – سعد زغلول: المرجع السابق، ج1، ص304.

4– بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أي هبيرة الليثي العصفري (ت240ه) :تاريخ خليفة بن خياط، مر : مصطفى نجيب فواز، حكمت كشلي فواز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص231

5– الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص120.

6– ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص299.

7– نفسه : ص299.

8– ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص223.

9– الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص121.

1- موقعة القـرن:

لقد اختلط الأمر على بعض المؤرخين في توقيت موقعة القرن، هل كانت مع موقعة الأصنام أم قبلها أم بعدها؟ فمنهم من يذكرها مع الأصنام مختلطة "المعلومات بينهم"[1]وآخرون يذكرونها قبل الأصنام[2]، كما أن بعض المؤرخين المحدثين مثل سعد زغلول يرى أنها وقعت بعد معركة الأصنام[3].يذكر ابن عذارى أن حنظلة اخرج كل ما كان في الخزائن من السلاح، واحضر الأموال، ونادى في الناس، فأول من دخل عليه رجل من يحصب ، فقال له: ما اسمك ؟ فقال: نصر بن ينعم، قال: فتبسم حنظلة كالمكذب له، وقال له: بالله اصدق .فقال: والله مالي اسم غير ماقلت... فتفاءل به وقال: نصر وفتح[4] .

وقد خرج حنظلة بأهل القيروان إلى لقاء عكاشة بن أيوب الفزاري لأنه الأقرب إلى القيروان من عبد الواحد[5]، والتقى حنظلة بعكاشة بعد قتال شديد في في معركة القرن، فهزمه هزيمة منكرة "... هزم الله عكاشة وأصحابه..."[6]، وقد كان ذلك في نهاية سنة 124هـ/742م، وأوائل سنة 125هـ/743م [7]، وهرب عكاشة حتى انتهى إلى بعض النواحي الإفريقية فجيء به أسيرا إلى حنظلة فقتله[8].

1- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 80

2- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج2، ص286.

3- سعد زغلول: المرجع السابق، ج1، ص308.

4- ابن عذارى :المصدر السابق،ص58

5- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص223.

6- الرقيق القيرواني: المرجع السابق، ص81.

7- سعد زغلول: المرجع السابق، ص309.

8- ابن خياط: المصدر السابق، ص 231.

2- موقعة الأصنام:

بعد موقعة القرن سار حنظلة بجيشه لمقاتلة عبد الواحد بن يزيد الهواري والتقى الجيشان في منطقة الأصنام حيث التحم الفريقان في قتال مرير[1]، وقد كانت المعركة يوم الثلاثاء عام 125هـ/743م وفيها هزم العرب البربر وقتل عبد الواحد[2]، ثم تتبع العرب جيش عبد الواحد المنهزم وصلوا جلولا[3]، ولم يعرف يعرف مقتل عبد الواحد إلا بعد يومين وذلك يوم الخميس عام 125هـ/743م [4]، [4]، وسعد زغلول يرى أنها وقعت بعد معركة الأصنام، وهذا ما يفهم من سياق الروايات.

فبعد الانتصار الذي حققه حنظلة على عبد الواحد وأتباعه في معركة الأصنام اتجه بقواته إلى عكاشة في منطقة القرن، وقد كان عكاشة لا يعلم بهزيمة عبد الواحد ومقتله[5]، فاندفع رجال حنظلة حيث كان يطغى عليهم الحماس بعد النصر على جيوش عبد الواحد ورجاله وذلك في نهاية سنة 124هـ/742م، وأوائل سنة 125هـ/743م[6]

فالتقى حنظلة بعكاشة في قتال شديد، فهزمه هزيمة منكرة "هزم الله عكاشة وأصحابه"[7].

1- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص81.

2- نفسه، ص81.

3- ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص417.

4- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص82.

5- ابن الاثير: المصدر السابق، ج4، ص418.

6- سعد زغلول: المرجع السابق، ج2، ص309.

7- الرقيق القيرواني: الصدر السابق، ص82.

وقد هرب عكاشة حتى انتهى إلى بعض نواحي افريقية، فجيء به إلى حنظلة أسيرا، فقتله[1].

وقد بلغ عدد القتلى في المعركتين من الكثرة بحيث يصعب عدهم، وقد قيل وصل إلى مائة ألف وثمانين ألفا[2]، وتعليقا على هذا النصر الذي أحرزه حنظله علق الفقيه المعروف الليث بن سعد[3] "... ما غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلي من غزوة القرن والأصنام..."[4]، وعلى الرغم من أن حنظله بن صفوان قد استطاع أن يسترد القيروان ويؤمن افريقية، ويقر السكينة والهدوء في ربوعها، إلا انه لم يستطع أن يرد الوحدة إلى ربوع المغرب، فقد وضحت شخصية المغرب وضوحا تاما، وخرج عن طاعة القيروان، وبدا يقرر مصيره بنفسه.[5]

1- ابن خياط: المصدر السابق، ص231.

2- بن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص59.

3- الليث بن سعد: هو ليث بن سعد بن عبد الرحمان أبو الحارث الأصبهاني الأصل، مولى خالد بن ثابت الفهمي أحد معاصري الإمام مالك بن أنس 179 هـ /795 م، وأبي حنيفة النعمان 150هـ / 767م، وكان تلميذ لهما، قال فيه الشافعي: الليث بن سعد افقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوم به، أي لم ينشروا علمه (الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ومدينة السلام، ج 13 ص 13،14)

4- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص145.

5- حسن احمد محمود: المرجع السابق، ص67.

الفصل الثالث

آثار وتداعيات ثورات البربر في المغرب ضد خلافة المشرق

أولا: تداعيات الثورات على المغرب

1- انفصال أطراف المغرب عن جسد الخلافة المشرقية:

ما لبث النفوذ الأموي في بلاد المغرب أن تداعى بسبب ضعف الخلافة الأموية، على اثر وفاة هشام بن عبد الملك سنة125هـ/743م[1]، ولعل من ابرز الأحداث دلالة على ضعف الخلافة الأموية في المغرب؛ استيلاء عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة[2] على افريقية سنة 127هـ/745م، وقيامه بطرد حنظله بن أبي صفوان، مما اضطر الخليفة مروان بن محمد على الاعتراف بشرعية ولايته[3]، وفي هذا يقول ابن خلدون:"ثم خفت صوت الخلافة بالمشرق، والتاث أمرها لما كان من بني أمية من الفتنة، وما كان من أمر الشيعة والخوارج مع مروان، وأقضى الأمر إلى الإدالة ببني العباس من بني أمية، وأجاز البحر عبد الرحمن بن حبيب من الأندلس إلى افريقية فملكها وغلب حنظلة عليها"[4].

ولم يمض شهر واحد على إمارة عبد الرحمن بن حبيب حتى اندلعت الثورة في ربوع المغرب[5]، يقول ابن خلدون:"واستشرى داء البربر، وأعضل أمر الخارجية ورؤوسها، فانتفضوا من أطراف البقاع، وتواثبوا على الأمر

1- محمود إسماعيل: الخوارج ، المرجع السابق، ص73.

2- اشترك عبد الرحمن بن حبيب مع والده في موقعة بقدورة، ونزح إلى الأندلس مع بلج بن بشر، وهناك وقع صراع مع بلج وثعلبه بن سلامه ، فلم يطب له المقام، خصوصا في وجود أبي الخطار الحسام بن ضرار عامل حنظله على الأندلس، فغادرها إلى افريقية، ودعى لنفسه، فالتفت حوله اليمنية،ثم دخل القيروان بعد انسحاب حنظله منها سنة127هـ، وظل على ولائه لبني أمية حتى قامت الدولة العباسية سنة 132هـ ، فأعلن تبعيته للمنصور، ثم خلع طاعته ، واستقل بالأمر بمعزل عن الخلافة حتى اغتيل سنة 137هـ على يد أخيه الياس(ابن عذارى: المصدر السابق،ج1،ص60 وما بعدها).

3- ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص243.

4- نفسه: ج6، ص145.

5- عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ج2، ص324.

بكل ما كان، داعين إلى بدعتهم"[1]، إلا أن عبد الرحمن تمكن من قمع الحركات التي قامت في عهده، كما تمكن من تبديد الائتلاف الصفري الذي قام ضده[2]، واستطاع ابن حبيب أن يضمد جروح افريقية بعد أن أثخنت فيها الثورات، حتى كادت أن تأكل الأخضر واليابس، فنشر السلام والطمأنينة في ربوع البلاد[3].

إلا أن أمر الصفرية لم ينقطع من المغرب كما قال ابن خلدون[4]، فبعد انقراض الأسرة الفهرية، استولت قبيلة ورفجومة 5 على مدينة القيروان سنة 140هـ، بقيادة عاصم بن جميل، ثم أخرجهم منها الخوارج الاباضية، بزعامة أبي الخطاب عبد الأعلى المعا فري[6] سنة 141هـ[7]، ولما تفاقم خطر الإباضية الإباضية أرسل الخليفة العباسي المنصور عامله على مصر محمد بن الأشعث، على رأس جيش عظيم لتأديب الثوار واستعادة سلطان الخلافة[8]، ونجح ابن الأشعث بعد معارك عدة في استرداد القيروان سنة 142هـ[9]. لكن

1- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص146.

2- محمود إسماعيل:الخوارج ، المرجع السابق، ص73.

3- حسن احمد محمود: المرجع السابق، ص69.

4- ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص243.

5- قبيلة ورفجومة : بطن من بطون نفزة، اتخذت من مبادئ الخوارج الصفرية مذهبا لها، وأصبحت من غلاة هذا المذهب في افريقية والمغرب، وقيل أن زعيمها عاصم بن جميل كان كاهنا ادعى النبوة، وعند احتلاله لمدينة القيروان، استحل الحرمات وسبي النساء والأطفال، وربط الدواب في جامعها، وتظاهر عاصم بالدعوة لبني العباس، ولما تولى عمر بن حفص ولاية افريقية انزل هذه القبيلة بمدينة طبنة قاعدة إقليم الزاب، سنة151هـ/771م.(الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص103 وما بعدها).

6- أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعا فري، من وجوه العرب الذين تقبلوا المبادئ الخارجية على المذهب الاباضي ، وهو واحد من حملة العلم الخمسة، الذين اخذوا أصول الاباضية بالبصرة، على يد أبي عبيد الله المسلم، و بايعته اباضية طرابلس إماما عليهم، سنة 140هـ/757م، وقد امتد نفوذه من خليج سرت شرقا إلى قابس غربا (عبد العزيز سالم: المرجع السابق،ج2، ص339).

7- ابن خلدون : المصدر السابق، ج6، ص244.

8- محمود إسماعيل: الأغالبة سياستهم الخارجية ، ط3، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2000، ص12.

9- البلاذري: المصدر السابق،ص325.

الثورات لم تتوقف إلى أن قضى عليها الأمراء المهلبيون بعد جهود متواصلة وحروب كثيرة[1] .

وهو الأمر الذي دفع الخوارج إلى ترك أسلوب الثورة وعمدوا إلى إقامة دول مستقلة عن الخلافة في المغربين الأوسط والأقصى، وما شجع البربر أيضا على سلوك هذا المنحى، هو نجاح عبد الرحمن الداخل في الاستقلال بالأندلس دون أن يعبا بانتقام العباسيين[2].

وهكذا دخلت ظاهرة الثورات في بلاد المغرب في دور جديد هو دور تشكيل الكيانات السياسية، حيث نجح طريف الصفري[3]، في تأسيس دولة برغواطة سنة 744/127م، عندما لجا إلى إقليم تامسنا[4]، حيث تراس بعض القبائل هناك–من مصمودة وزواغة وزناتة، وقبائل أخرى[5] وبعد موته خلفه ابنه صالح الذي تنسب إليه النحلة البرغواطية[6]، وتكاد المصادر تجمع على أن صالح بن طريف ادعى النبوة، وبأنه تلقى قرانا باللغة البربرية[7]، ويذهب كل من

1– ابن الأثير: المصدر السابق،ج5، ص197،198.

2– محمود إسماعيل: الاغالبة، المرجع السابق،ص12.

3– طريف من ولد شمعون بن إسحاق: كان من قواد جيش ميسرة المطغري ، واليه تنسب جزيرة طريف ، ولما هزمهم أهل القيروان تفرقوا وتشتت جمعهم ، فسار طريف إلى تامسنا وكانت بلاد بعض قبائل البربر، وحين التمس منهم طريف شدة جهلهم قام فيهم ودعا إلى نفسه(ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص56،57.)

4 – تامسناTAMASNA : لفظة بربرية من لهجة زناتة، ومعناها البسيط الخالي، وتشتمل على الأراضي الممتدة على ساحل المحيط الأطلسي، من الرباط الى ما وراء الدار البيضاء ، حتى مصب وادي ام الربيع بمنطقة دكالة، وهذه المنطقة هي المكان الذي نشأت فيه دولة برغواطة المارقة على الدين الإسلامي ،وقد دخلت في صراع عنيف مع الادارسة والمرابطين وغيرهم ممن حكموا المغرب(ابن الخطيب،أبو عبد الله محمد بن عبد الله لسان الدين الغرناطي(ت 776هـ/1375م): أعمال الأعلام ،تحقيق احمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ،دار الكتاب بالدار البيضاء ،المملكة المغربية، 1964،القسم الثالث، حاشية رقم 3، ص180.)

5 – وكانوا أحياء من قبائل كثيرة، ذكرهم البكري، (البكري: المصدر السابق، ص140،141.)

6 – صالح بن طريف: كان قد حضر مع أبيه حرب ميسرة المطغري، ومغرور بن طالوت الصفريين، اللذان كانا راس راس الصفرية (ابن عذارى، مصدر سابق،ج1، ص57.)

7 – البكري: المصدر السابق، ص135 وما بعدها، ابن أبي زرع :أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت720هـ/1314م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة

من محمد الطالبي وإبراهيم ا لعبيدي إلى أن النحلة البرغواطية هي مزيج بين المذهب الخارجي والمذهب الشيعي والميثولوجيا العربية[1].

ما يمكن قوله أن برغواطة إحدى الإمارات المستقلة في المغرب، تبنت ديانة جديدة و لعبت دورا كبيرا على المسرح السياسي لفترة تزيد عن أربعة قرون[2] ، حتى سقطت على يد المرابطين سنة 477هـ/1084م[3] .

واستطاع الخوارج الصفرية في سنة 140هـ/757م، بعد أن تجمعت فئات من قبيلة مكناسة البترية[4]، أن يقيموا دولة لهم في سجلماسة[5] على وادي ملوية[6] وولوا على أنفسهم عيسى بن يزيد[7] المعروف بالأسود[8]، وسميت أيضا بدولة بني واسول، وهو احد أجداد بني مدرار، والظاهر أنهم كانوا من فلول وبقايا الصفرية؛ الثائرين مع ميسرة المطغري، وخالد بن حميد الزناتي[9] وعندما انحرف عيسى بن يزيد عن خط المذهب، نقموا عليه وعذبوه، وقتلوه بطريقة قاسية تنم

والوراقة، الرباط،1972،ص130، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص57، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص182 ،183.

1 – محمد الطالبي وإبراهيم العبيدي: البرغواطيون في المغرب، ط1،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء، 1999، ص6.

2– نفسه : ص78.

3 – بوزياني الدراجي : دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، ط3، 2007، ص44.

4– البكري : المصدر السابق،ص149.

5 – سجلماسة: (بكسر السين والجيم وسكون اللام) مدينة مندرسة في أقصى جنوب المغرب بالقرب من مدينة الريساني، في إقليم تافيلالت، ولازالت أطلالها موجودة، ويسميها سكان تلك المنطقة بالمدينة المعاصرة، بنيت سنة 140هـ/757م، وكان موضعها عبارة عن سوق تتسوق إليه البربر بتلك النواحي، وقد جذبت كثيرا من التجار، لأنها تعتبر مركزا لتجارة الذهب(البكري: المصدر السابق،ص148 وما بعدها).

6– السلاوي:المصدر السابق، ج1، ص55.

7– ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص156.

8– يذهب محمود إسماعيل غالى أن اختيار عيسى بن يزيد للإمامة، يدل على ثقل وزن عنصر السودان، ورجحانه على سائر العناصر الصفرية بإقليم تافيلالت (محمود إسماعيل: الخوارج، المرجع السابق،ص117).

9– بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص44.

عن تطرف الخوارج الصفرية وميلهم إلى العنف[1]، فانتقلت الإمامة إلى أبي القاسم سمكو بن واسول المكناسي، الذي تمكن من تحقيق أهداف الخوارج الصفرية بإقامة دولة لهم في بلاد المغرب، تمتعت باستقلال تام عن سلطة الخلافة وعمالها[2]، وسقطت الدولة المدرارية على يد الفاطميين سنة 297هـ[3].

أما الدولة الثالثة فهي الدولة الرستمية الاباضية، التي قامت في المغرب الأوسط سنة 144هـ/761م[4]، ومؤسس هذه الدولة هو عبد الرحمن بن رستم[5]، رستم[5]، الذي كان عاملا لابي الخطاب على افريقية[6]، وعندما وصلته أنباء عن عن مقتل أبي الخطاب وهزيمة جيوشه[7]، ترك ابن رستم القيروان وهرب بأهله وما خف من ماله[8] يقول ابن خلدون:"...وفر عبد الرحمن بن رستم من القيروان

إلى تاهرت بالمغرب الأوسط ،واجتمعت إليه طوائف البربر الاباضية من لماية..."[9].

1- الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر أحمد (ت548هـ/1147م)، الملل والنحل،تح:أمير علي مهنا وعلى حسن فاعور ،ط1، دار المعرفة ، بيروت ،1993،ج1، ص159.

2 – محمود إسماعيل: الخوارج، المرجع السابق، ص121،120.

3 – عصام الدين الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق،القاهرة ، ص162.

4 – احمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية، ص 46.

5- عبد الرحمن بن رستم :اجمع المؤرخون على أن عبد الرحمن بن رستم من أصل فارسي، وكان مولي لعثمان بن عفان، وفد إلى المغرب مع العرب الفاتحين ، واستقر بالقيروان ، واخذ في بيئتها العلمية علي كبار علمائها ، وكان من بين حملة العلم الخمسة، الذين اخذوا أصول الاباضية بالبصرة ، على يد أبي عبيد الله المسلم.(عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2،ص538).

6 – الدرجيني: أبو العباس احمد بن سعيد ، ت 670هـ ، طبقات المشايخ بالمغرب ، تح: إبراهيم طلاي ،مطبعة البعث البعث ، قسنطينة ج1، ص 31

7 – محمود إسماعيل: الخوارج ، المرجع السابق، ص146.

8 – البكري: المصدر السابق، ص68.

9- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 147.

ويذهب محمود إسماعيل إلى أن عبد الرحمن بن رستم بويع بالإمامة مرتين: الأولى على اثر موت أبي الخطاب سنة 144هـ/761م، ونزوله إلى اباضية المغرب الأوسط ،والثانية سنة 162هـ/779م بعد تأسيس تاهرت[1]، ولقد ولقد عمل عبد الرحمن بن رستم على تدعيم دولته، فعقد تحالفا مع الدولة الأموية في الأندلس، وكذلك مع الدولة المدرارية الصفرية في سجلماسة [2]، ونتج ونتج عن هذا التحالف الأخير تلك المصاهرة التي تمت بزواج المنتصر بن اليسع بن مدرار على أروى بنت عبد الرحمن بن رستم[3].

وعلى مستوى العلاقات مع الدولة العباسية؛ يقول ابن خلدون:" وركدت ريح الخوارج من البربر من افريقية، وتداعت بدعتهم إلى الاضمحلال ورغب عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت سنة إحدى وسبعين ومائة في موادعة صاحب القيروان...فوادعه وانحصدت شوكة البربر واستكانوا للغلب وأطاعوا الدين"[4]، ويقول الدرجيني:" لم نسمع عن جيش عباسي عمل وراء الزاب ليقوم بالحيلولة دون قيام الدولة الاباضية "[5].

2- تقلص نفوذ الخلافة المشرقية :

وللحيلولة دون زوال النفوذ العربي، والوقوف حاجزا أمام خطر هاته الدويلات، ظهرت دولة الاغالبة في افريقية سنة 184هـ/800م[6]، فكان قيام هذه هذه الدولة مرتبطا ارتباطا وثيقا بما كان يسود بلاد المغرب من اضطرابات

1 – محمود إسماعيل: الخوارج ، المرجع السابق، ص150.

2 – احمد مختار العبادي:المرجع السابق ، ص77.

3 – ابن الخطيب: المصدر السابق، ص143.

4 – ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص148.

5 – الدرجيني: المصدر السابق ، ص 47

6 – محمود إسماعيل: الخوارج ، المرجع السابق، ص107.

وفوضى، والصراع المذهبي في الفترة الممتدة من خلافة هشام بن عبد الملك(105-125هـ/724-743م)، إلى نهاية الدولة الأموية 132هـ/750م[1]

على الرغم من أن الخلافة العباسية تفكيرها كان منصبا نحو المشرق لمحاربة الزنادقة والقضاء على حركات العلويين ووقف أخطار البيزنطيين، إلا أن الخليفة العباسي السفاح (132-136 هـ/749-753م) لم تغفل عيناه عن الجناح الغربي للدولة الإسلامية حيث اقر عبد الرحمن بن حبيب على ولاية افريقية[2]، وأرسل إليه خلعة سوداء وهو أول سواد دخل افريقية[3] .

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد(170-193هـ/786-809م) أقنعته أحداث افريقية المتوالية بان انفصال المغرب عن الخلافة العباسية أصبح أمرا لا مفر منه، وقد دفعه هذا إلى قبول ما عرضه عليه إبراهيم بن الأغلب[4]، والتسليم باستقلال ولاية افريقية استقلالا جزئيا عن الخلافة العباسية[5]، ويلخص لنا ابن عذارى فترة حكم إبراهيم بن الأغلب بقوله:"... ولم يل افريقية أحسن سيرة منه، ولا سياسة، ولا ارأف بالرعية، ولا أوفى بعهد، ولا أرعى لحرمة منه، فطاعت له البربر، وتمهدت افريقية في أيامه..."[6].

ونتيجة لثورات البربر المتوالية، اضطربت الأحوال الاقتصادية في افريقية وتقلصت الرقعة الزراعية، وكسدت التجارة لعدم استتباب الأمن[7]، وهذا الكساد

1 - ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، تح: محمد زينهم ومحمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي ،1988،ص5.

2 - محمود إسماعيل: الأغالبة ، المرجع السابق، ص11.

3 - عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص331.

4 - إبراهيم بن الأغلب: ينتسب بن سالم التميمي جد الأغالبة وهو من أصحاب أبي مسلم الخراساني ، دخل المغرب مع أبن الأشعث فاستعمله على منطقة طبنا ، كان عالما وفقيها وشاعرا ، تلقى علمه على يد فقيه مصر الليث بن سعد (ابن وردان ،المرجع السابق،ص53)

5 - عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص373.

6 - ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص92.

7 - محمود إسماعيل: الأغالبة، المرجع السابق، ص16.

في افريقية كان يقابله رخاء عظيم حققته دول البربر المستقلة، وخاصة الدولتين المدرارية والرستمية[1].

ومما سبق ذكره يتبين لنا أن البربر حققوا من خلال الكيانات السياسية التي أقاموها، ما كانوا يصبون إليه من عدل واستقرار، في ظل عدالة الإسلام، وتحت قيادة عربية خالصة.

ثانيا: تداعيات ثورات بلاد المغرب على الأندلس

امتد صدى ثورات البربر في إفريقية إلى الأندلس، إذ أن اضطراب الحكم في إفريقية، أدى إلى اختلال أمور الحكم في الأندلس، كما كان لثورة البربر الأثر الكبير في تحريك إخوانهم في الضفة الأخرى من البحر[2]،فلما بلغ أهل الأندلس نبأ ثورة البربر في طنجة، وسمعوا بها، انتفضت البلاد وعمت أرجاءها الفوضى[3]، فقد ثار البربر في الأندلس نتيجة لهزيمة العرب في إفريقية[4]، وهذا ما ما يشير إليه صاحب كتاب "أخبار مجموعة " في قوله "... فقضى أن بربر الأندلس، لما بلغهم ظهور بربر العدوة على عربها وأهل الطاعة، وثبوا في أقطار الأندلس ،فأخرجوا عرب جليقية وقتلوهم،وأخرجوا عرب استرقة، والمدائن خلف الدروب.. "[5]

فقد انتشرت عدوى هذه الثورة بين مغاربة الأندلس ، الذين لم يتوانوا عن القيام بتأيد مطالب إخوانهم في بلاد المغرب [6].

---

1 – محمود إسماعيل: الأغالبة، المرجع السابق، ص17.

1– محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس (العصر الأول) ، ص122

2– حسين مؤنس: موسوعة الأندلس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج1، ص 33

4– ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات: ثورات البربر في شمال إفريقيا ، 122هـ/740م، ترجمة وتعليق: عبد الله علي الزيدان، مكتبة الملك عبد العزيز ،الرياض،1993،ص 450

5– مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 42

6 – عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق، ص 38

1-عوامل انتقال صدى الثورات إلى الأندلس:

لقد أنتقل صدى الثورة إلى إخوانهم في الأندلس ذات الصلة السياسية والإدارية بإفريقية ويرجع أسباب هذا الانتقال إلى عدة عوامل:

– إن البربر هم الذين فتحوا الديار الأندلسية تحت قيادة ابنهم طارق بن زياد وأسهموا في تدعيم الوجود الإسلامي في الأندلس، فقد كان الجيش الفاتح للأندلس يتألف من أربع قبائل بربرية وهي:

مدغرة، وهوارة، ومكناسة، وكان معظمهم من فروع قبيلة زناتة البترية [1].

– وكان لقرب المسافة وسهولة الاتصال بين العدوتين اثر بالغ في هجرة الكثير من القبائل البربرية إلى الأندلس، بشكل كبير بالنسبة لهجرة القبائل العربية لشعورهم بالفضل العظيم الذي قدموه في فتح البلاد، بالإضافة إلى بحثهم عن أسباب الحياة الرغيدة، وبالمقابل لم يفد من العرب على الأندلس بعد عصر الولاة إلا اليسير من الأفراد أو من بعض الجماعات القبلية [2].

– تولي العرب زمام الحكم في الأندلس، وسيطرتهم على النصيب الأوفر من خيراتها إذ استأثروا بالأرض الخصبة من المزارع والبساتين والضياع من دون البربر.

فعاشوا على سهول الأندلس الخضراء، وأحواض الأنهر الكبيرة مثل: نهر الوادي الكبير، وحوض التاج، أما البربر فقد أعطوا الهضاب الوسطى التي تتميز بجفاف مناخها وقلة مياهها، كما انتشروا في المناطق الجبلية الواقعة في الشمال الغربي، وفي مرتفعات الجنوب الشرقي لبلاد الأندلس[3]، وكانت تلك

1 – ابن خلدون:المصدر السابق، ج6، ص155

2 – محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 205

3 – لطيفة البكاي: المرجع السابق، ص217

المناطق اقل خصوبة من المناطق التي أستوطنها العرب، فهي مناطق وعرة ذات طقس بارد[1] .

– لم ينل البربر الفاتحون أي دور من شأنه أن يرفع من مكانتهم ويعظم من شأن ما بذلوه من جهاد ونصر، بل وقع عليهم من الظلم والتعذيب من ولاة الأندلس على أبسط المشكلات، وإذا تجرؤوا على الشكوى كان عذابهم أكبر[2]

وربما كان الدافع وراء تلك السياسة هو خوف عرب الأندلس من كثرة البربر في هذه البلاد، إذ كان العرب في الأندلس يشكلون أقلية بالنسبة للبربر لذلك أبعدوهم عن مراكز السلطة والنفوذ من جهة وشعور العرب الفاتحين بانهم سادة المغرب [3].

– مشاطرة إخوانهم المضطهدين في المغرب وهذا ما يشير إليه صاحب أخبار المجموعة "إلى أن بربر الأندلس اقتدوا بإخوانهم المغاربة وهو ظاهرة حلق شعور رؤوسهم قبل المعركة تقليدا لميسرة المطغري وأتباعه، وهي عادة سائدة عند بربر المغرب الأوسط"[4]، لما تعرضوا له على أيدي ولاة العرب، فتوحدت مشاعرهم في كره العرب الذين قاموا بالاستيلاء على حكم الأندلس والسيطرة على مقدراته بحيث أخذوا يصرفون أمور البلاد وحدهم دون مشاركتهم، رغم أن فتح البلاد كان على كاهلهم، فلم تذكر المصادر التاريخية أن بربريا تولى إمارة الأندلس.

1 – نعنعي عبد المجيد: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص 109

2– اشرف يعقوب أحمد شتيوي :الأندلس في عصر الولاة (91–138هـ/711–756م)، رسالة ماجستير ،جامعة النجاح، فلسطين، 2004، ص107

3– الراشد عبد الجليل: دور البربر في سقوط الدولة الأموية في الأندلس، مجلة المؤرخ العربي، ع3، 1977، ص81

4–مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص44

– لا يستبعد أن يكون قد خرج نفر من دعاة الثورة من الخوارج أو غيرهم نحو الأندلس لإثارة الثورة، واستئصال حكم بني أمية من إفريقيا والأندلس، فالاتصال بين الجانبين سهل والمسافة قريبة[1].

2 – آثارها على عدوة الأندلس:

ثار البربر المستوطنون في الأندلس بدورهم، بعد انهزام جيش كلثوم بن عياض القشيري على ضفاف نهر سيبو[2]، حيث تحركوا في معظم الأقاليم الشمالية ، فاضطرمت النار بالأخص في جليقية[3] وماردة وقورية وطلبيرة، وطليطلة وقرطبة ثم الجزيرة [4].

وقد استطاع البربر في عنفوان ثورتهم، أن يهزموا كل الحملات التي وجهها عبد الملك بن قطن لإخضاعهم[5]، حيث يقول صاحب كتاب أخبار مجموعة عن ذلك:"...فاخرج إليهم عبد الملك جيوشا فهزموها، وقتلوا العرب...."[6].

وهنا ارتاع هذا الأخير خشية أن يلقى جيشه مالقيته الجيوش العربية في بلاد المغرب من هزائم مريرة على يد الثوار المغاربة [7]، وفكر حينها أن يستعين بجند بجند الشام المحاصرين في سبتة بقيادة بلج بن بشر في حربه مع البربر

1– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص69

2– أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1983، ص17

3– جليقية: ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب(ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص157

4– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص123

5– حسين مؤنس: موسوعة الأندلس، المرجع السابق، ص33، 34

6– مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص43

7– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ص54

فعرض عليهم العبور إليه، على شرط أن يشتركوا في ثورات البربر بالأندلس، وان يغادروها بعد سنة واحدة .[1]

وبذلك اجتاز بلج وأصحابه مضيق جبل طارق في ذي القعدة من سنة هـ123\741م، وانضمت قواته إلى جيوش عبد الملك بن قطن، لقتال بربر المغاربة حيث استطاعوا أن يلحقوا بهم الهزائم الساحقة، فلم ينجو منهم إلا القليل، وكان ذلك عام 124هـ ./742م[2].

وعلى إثر هذه الهزائم المتكررة التي لحقت بالثوار البربر استولى الشاميون على زمام الحكم في قرطبة، فقتلوا عبد الله بن قطن وعينوا مكانه بلج بن بشر أميرا عليهم[3]، ونتيجة للهزائم الساحقة، فكر البربر في مغادرة الأراضي الأندلسية الأندلسية والعودة إلى بلادهم الأصلية بالشمال الإفريقي، مما ترك أثرا سيئا على الحدود الإسلامية الشمالية المتاخمة للمناطق المسيحية، فظهر الاسبان عليها [4].

ومهما يكن من الأمر فإن الثورات البربرية في الغرب الإسلامي كان لها أسوأ الأثر في تقوية نصارى الأندلس وتضامنهم وتنظيم شؤونهم واجتياحهم عدة مواقع ومدن[5]، مما أتاح لهم أن يقتسموا الجزيرة الأندلسية مع المسلمين، حيث يقول ابن عذارى في ذلك نقلا عن ابن حزم"... وفي خلال هذه الأمور من اختلاف الكلمة، تغلب الكفار على نحو نصف الأندلس..."[6] وكما يقول ابن خلدون"... وربما كان بين جنود الأندلس من العرب اختلاف

1- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق ، ص59

2- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص43

3- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 59

4- نفسه: ص 59 ، 60

5- ندوة الأندلس قرون من التقلبات: المرجع السابق، ص 420

6- ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص 39

وتنازع أوجد للعدو (الفرصة)... فرجع الإفرنج إلى ما كانوا غلبوهم عليه من بلاد برشلونة..."[1] .

فثورة البربر أدت إلى منح نصارى الشمال، مساعدة عظيمة، فتقووا ووسعوا مجال نفوذهم بفضل ضعف الدولة الإسلامية[2]، حيث تسببت في انسحاب العرب نحو شبه الجزيرة الأيبيرية[3]، كما أدى الصراع بين العرب والبربر إلى إضَعاف الوجود الإسلامي بالأندلس، لما نجم عنه من الفوضى والاضطرابات التي أدت إلى تفرق المسلمين بالأندلس[4].

كما أن تعيين الشاميين لبلج بن بشر أميرا على الأندلس، ألهب نار الخلاف بين العرب أنفسهم، فقد أثار ذلك البلديين وتطور بين القيسيين والكلبيين[5]، فهذه الخلافات الداخلية سواء بين العرب والبربر، أو بين العرب أنفسهم، شغلت العرب عن حدودهم الشمالية، فكان ذلك من ابرز العوامل التي ساعدت على ميلاد المقاومة الإسبانية في هذا الوقت المبكر من التاريخ الأندلسي، حيث استغل قادتها الخلافات التي كانت تعصف بالمسلمين في الأندلس، لتوسيع حدود إماراتهم على حساب انشقاق المسلمين فيما بينهم[6].

وفي هذا الصدد يعلق الباحث حسين مؤنس في كتابه: موسوعة الأندلس قائلا:"... لقد خسر المسلمون نتيجة لاختلاف بعضهم مع بعض ربع شبه الجزيرة، خسروه دون أن يخرجهم منه عدو، وإنما أخرجهم كراهة بعضهم لبعض وقلة نظرهم إلى العواقب..."[7]، فحقيقة أن نتيجة الصراع بين العرب

1- ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 156

2- ندوة الأندلس قرون من التقلبات: المرجع السابق، ص 452

3- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 44

4- نفسه: ص 44

5- اشرف يعقوب أحمد شتيوي: المرجع السابق، ص107

6- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ص 59

7- اشرف يعقوب أحمد شتيوي: المرجع السابق ،ص 105

والبربر وحتى بين العرب أنفسهم كانت له نتائج وخيمة على الأندلس، حيث خسر المسلمون عدة مدن دون قتال ومواجهة ضد الأسبان .

كما يشرح حسين مؤنس في كتاب فجر الأندلس، نتائج هذه الصراعات والخلافات في قوله :" ...قضت المنازعات على أعداد كبيرة منهم، وصرفت جهودهم عن مراقبة الجزيرة، والاستمرار في اليقظة على سلامة دولهم فيها فعودة أعداد عظيمة من البربر إلى إفريقية، خلفت وراءهم مساحات فسيحة من الأرض، كان من الطبيعي أن يتقدم القوط والأيبيريون الرومان للسكن فيها دون خوف، فاستعادوا حوالي ثلث شبه الجزيرة ..."[1].

وهذا ما ذهب إليه عبد العزيز فيلالي؛ حيث يرى أن هذا الصراع العنيف الذي حل بالأندلس حال دون استمرار الجهاد في شمالها، وفشلت حركة الفتوحات به، بل أثر حتى على الأوضاع الزراعية والاقتصادية عامة فاجتاحت الأندلس مجاعة دامت أكثر من خمس سنوات ابتداء من سنة 131هـ/754م[2] وذلك لأن العرب والبربر هجروا الأرض وتركوها دون فلاحة، لانشغالهم بالحروب والمنازعات[3]، فتدهورت الحالة الاقتصادية للبلاد، حيث خلت الأسواق الأسواق من الأقوات وارتفعت الأسعار، ونفدت خزائن الدولة من الأموال[4] فتضاعف عدد المهاجرين من العدوة الأندلسية إلى العدوة المغربية.

ومن هذا التاريخ فصاعدا شارك البربر في فصول أخرى من عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي في الأندلس.[5]

1- حسين مؤنس: فجر الأندلس، المرجع السابق، ص 360

2- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ص 59

3- نفسه : ص 59 ، 60

4- سامية مصطفى سعد:العلاقات بين المغرب والأندلس، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000 م، ص18

5- ندوة الأندلس قرون من التقلبات: المرجع السابق، ص 452

ثالثا: تداعيات ثورات المغاربة على الخلافة في المشرق

1- دور ثورات المغاربة في سقوط الخلافة الأموية 132هـ/750م :

كانت لثورات البربر في المغرب والأندلس الأثر السيئ على مصير الدولة الأموية، حيث تضعضعت الدولة وتفرق شملها، مما ساعد بني العباس على نشر دعوتهم وبث أفكارهم من أجل الوصول إلى الحكم، وإسقاط الحكم الأموي، وهذا ما تحقق بعد عشر سنوات من اندلاع ثورات المغاربة ضد ولاة بني أمية، وليس من العبر التاريخية أن يعرف الإنسان سطحيا أن الدولة العباسية قامت بعد الدولة الأموية، وإنما العبرة أن تعلم ما تخلل بين سقوط هذه وقيام تلك من العوارض والأسباب.

إذ أن الوهن الذي انتاب الدولة الأموية بسب" انتزاع الثقة منها، وزوال هيبتها من القلوب، وجنوح الأمة إلى الثورات"[1]، خصوصا الموالي في فارس والمغرب والأندلس الذين أصبحوا يتحينون الفرص للخروج على الدولة الأموية[2]، وفسدت الأحوال واشتعلت الحروب مما كان له أثر بالغ في إضعاف الدولة الأموية، فاحتضن الدعاة العباسيون قضية الموالي وأيدوها[3] مستغلين الوضع العام الذي أفرزته الحروب والثورات ضد الأمويين [4].

وتفاقم الاضطراب الذي سرى إلى شؤون إفريقية والأندلس وأصبح تراث الخلافة الأموية نهبا مباحا لكل طامح ومتغلب[5]، حيث تولى عبد الرحمن بن حبيب شؤون الأندلس برأي الجماعة دون العودة إلى الخلافة بدمشق التي

1- عبد العزيز الثعالبي: سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1995، ط1، ص 13

2- علي إبراهيم حسين: التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص323

3- نفسه : ص 323

4- عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول ، دار الطليعة لطباعة والنشر ، بيروت ، ط3، 1997، ص 31

5- عبد الله عنان: المرجع السابق، ص134

كانت مشغولة بالانقسامات والصراعات، وبذالك خرجت الأندلس من يد الخلافة الأموية، ولم تبق تابعة للسلطة إلا اسميا [1].

كما استقل الزعماء المتغلبون بحكم إفريقية بعد أن خرجت أطرافها القصوى عن قبضة الخلافة[2]، حيث استأثر ابن الحبيب بولاية إفريقية، وعن هذه الحادثة يعلق ابن خلدون قائلا: "...ثم خفت صوت الخلافة بالمشرق والتاث أمرها لما كان من بني أمية من الفتنة، وما كان من أمر الشيعة والخوارج مع مروان، وأفضى الأمر إلى الإدالة ببني العباس من بني أمية وأجاز البحر عبد الرحمن بن حبيب من الأندلس إلى إفريقية فملكها وغلب حنظلة عليها..."[3]

فالانقسامات التي عصفت بالدولة الأموية أدت إلى تشتت الأمة الإسلامية وخسارة الأراضي ومواقع هامة خاصة في الأندلس، فعبد العزيز الثعالبي يرى أن هذه الانقسامات التي فشت في أوصال الأمة وسرت إلى الجنود أحدثت الفشل في الصفوف، دون النظر إلى العواقب التي جرت إلى قلب الدولة [4].

ويقول جورج مارسيه:"... ولذلك، فنتيجة الانتفاضات البربرية والهزات التي خلقها العرب، وإرسال الجيوش المكلفة التي تتطلبها الظروف بدا ضم بلاد المغرب وكأنها صفقة خاسرة لحكام دمشق..."[5]، وهذا ما بدا جليا من خلال الأعداد الهائلة من الجيوش التي أرسلها الخليفة هشام بن عبد الملك في ثلاث سنوات الأخيرة من خلافته إلى المغرب لإخماد هذه الثورات

1- عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 141

2- نفسه: ص141

3- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 145

4- عبد العزيز الثعالبي: المرجع السابق، ص 13

5- جورج مارسيه: المرجع السابق، ص 50

والتي استشهد فيها عشرات الآلاف من خيرة أجناد الشام الذين كانوا بمنزلة القوات الخاصة للدولة الأموية، وكانوا سر قوتها وتوطد أركانها، كما استشهد فيها أيضا الكثير من أجناد المغرب وأجناد مصر، بمن فيهم أيضا المئات من التابعين، ومثلهم من الأشراف العرب[1] .

2- أثر ثورات المغاربة على عملية الفتح الإسلامي:

كل هذه الجيوش التي خسرتها الخلافة في محاولتها للقضاء على هاته الثورات، وخاصة في ثورة الأشراف وثورة بقدوره التي أبيد فيها جيش كلثوم[2]، وعلى اعتبار أن الدولة الأموية هي دولة فتوح بالدرجة الأولى فإن هاته الثورات كان لها تأثير على عملية الفتح ، كونها قد أوقفتها في جنوب فرنسا وأجبرت عقبة بن الحجاج قائد جيش الإسلام في جنوب فرنسا على العودة بجيشه للتصدي لثورات البربر الذين استولوا على طنجة بشمال المغرب الأقصى[3].

وقبل ذلك كانت ثورة ميسرة قد اضطرت والي المغرب عبيد الله بن الحبحاب إلى سحب الجيش الذي كان قد بعث به لفتح صقلية وجنوبي إيطاليا بقيادة حبيب بن عبيدة[4]، في وقت كان فيه هذا الجيش يوشك أن يطهر جزيرة صقلية من البيزنطيين، وكانت نتيجة هذا الانسحاب –بالتالي– تأخير فتح هذه الجزيرة لأكثر من تسعين عاما .

1- أحمد الظرافي: فتنة الخوارج في بلاد المغرب وأثرها على الفتوحات الإسلامية في أوربا، مجلة البيان، العدد 321، الرياض، 2014، ص34

2- عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص311

3- أحمد الظرافي: المرجع السابق، ص34

4- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 53

كما يمكن القول أن هذه الثورات أدت إلى صرف نظر الخلافة عن مشروع فتح إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى[1]، التي تعرضت إلى إحدى الحملات في وقت سابق[2]، وهذا بدوره أدى إلى تأخير فتح هذه البلاد حتى القرن الخامس هجري أيام دولة المرابطين[3]، كما تطلب القضاء على هذه الثورات استنزاف موارد دولة الخلافة المادية، حيث أنفقت أموالا باهظة لإنهائها، بدلا من تخصيص هذه الأموال للجيش الفاتح[4].

وقد أعطت تلك القلاقل والاضطرابات الدعوة العباسية فرصة للظهور وتقوية دعائمها وتثبيت أركانها على حساب الدولة الأموية التي حكمت زهاء تسعين عاما، كان العنصر العربي خلالها هو عمادها ونصيرها وصاحب السلطان المطلق في تصريف شؤونها[5] .

وفي السنوات الأولى من قيام الخلافة العباسية شكلت بلاد المغرب معضلة كبيرة لخلفاء بني العباس، نظرا لبعدها عن مركز الخلافة في بغداد، وأصبحت إقليما تعيش فيه جماعات متحاربة متعادية بسبب التباين المذهبي والعنصري[6].

ويتبين لنا من خلال ذلك أن هذه الثورات دفعت الخلافة ثمنا باهظا لها في المشرق قبل المغرب، حيث أدت إلى سقوطها.

1-أحمد الظرافي: المرجع السابق، ص35

2-ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص51.

3- أحمد الظرافي: المرجع السابق، ص35

4- نفسه: ص35

5- علي إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص324.

6- حسين مؤنس: معالم، المرجع السابق، ص81.

الخاتمة

خاتمة:

يعد موضوع البحث من المواضيع التي تبحث في العلاقات التي عرفها العالم الإسلامي خلال عصر الولاة، والتي اتسمت بظهور الصراعات السياسية والمذهبية شرقا وغربا، ومن خلال بحثنا هذا توصلنا إلى مجموعة من الإستخلاصات والنتائج نوردها فيما يلي:

- أن ثورات بلاد المغرب تنوعت دوافعها وتعددت أسبابها، بين السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، كما لا يمكننا أن نغض الطرف على الدور الذي لعبه الخوارج في إشعال فتيل هذه الثورة، أما عن السبب المباشر فهو الظلم الذي مارسه بعض الولاة على سكان بلاد المغرب، والذي أوردته مجموعة كبيرة من المصادر أنه المحرك الأساسي للثورة في هذه المنطقة.
- كما نستخلص أن سياسة دمشق كانت غير سديدة ولا حكيمة في معالجة أمور بلاد المغرب، وذلك لانشغالها بالاعتماد على العصبية القبلية التي كانت السمة الغالبة عند بعض ولاة المنطقة.
- وعلى أي حال فقد لجأ المغاربة إلى السلاح بعد أن قاسوا تلك المظالم والتجاوزات سنين طويلة، وبعد أن فقدوا الأمل في إصلاح الوضع سلما، أي بعد رجوع الوفد من دمشق خائبا، فكانت أول ثورة بقيادة ميسرة المطغري.
- بتعدد أسباب ثورات المغاربة تنوعت نتائجها:

– أن هذه الثورة خلفت آلاف القتلى، فكانت معركة بقدورة من أعظم المعارك التي انهزم فيها العرب أمام البربر، وصرع فيها كبار القادة وعلى رأسهم كلثوم بن عياض مع عدد كبير من الجيش، وفرّ كثير منهم مع بلج بن بشر إلى سبتة ثم الأندلس.

- أما على مستوى المغرب فتعتبر هذه الثورات بداية لانفصال بعض أجزاء المغرب عن جسد الخلافة الإسلامية في المشرق، فقد كانت كل منطقة تتحين الخروج على الأمويين ثم العباسيين، وهذا ما تمثل في قيام دويلات مستقلة مختلفة في المشارب المذهبية.
- أما على صعيد الأندلس فقد امتد صدى ثورات المغاربة إلى إخوانهم من البربر في الأندلس، نتيجة عدة عوامل فكان لها أسوء الأثر في تقوية نصارى الأندلس، واجتياحهم عدة مدن مما أتاح لهم أن يقتسموا الأندلس مع المسلمين.
- إن انشغال المسلمين بهذه الثورات أدى إلى إضعاف شوكتهم، وأغرى بهم أعداءهم مما كان مقدمة لتوقف الفتوح الإسلامية على أكثر من صعيد، بل وخسارة أراضي هامة في شمالي الأندلس.
- وأما على مستوى الخلافة كان لثورة المغاربة الأثر السيئ على الدولة الأموية، حيث أضعفتها وشتت قواها مما ساعد بني العباس على نشر دعوتهم وبث أفكارهم من أجل الوصول إلى السلطة، وهذا ما تحقق لهم بعد حوالي عشر سنوات من ثورات المغرب.

وصفوة القول مما تقدم ذكره يتضح لنا أن هذه المرحلة من تاريخ المغرب، قد أسست لما جاء بعدها من مراحل وتركت عليها بصماتها.

الملاحق

الملحق رقم (01): الخلفاء الأمويون[1]

(41 – 132 هـ / 661 – 750 م)

1) معاوية بن أبي سفيان (41 – 60 هـ / 661 – 680 م)

2) يزيد بن معاوية (60 – 64 هـ / 680 – 683 م)

3) معاوية بن يزيد (64 – 64 هـ / 683 – 683 م)

4) مروان بن الحكم (الأول) (64 – 65 هـ / 683 – 684 م)

5) عبد الملك بن مروان (65 – 86 هـ / 685 – 705 م)

6) الوليد بن عبد الملك (الأول) (86 – 96 هـ / 705 – 715 م)

7) سليمان بن عبد الملك (96 – 99 هـ / 715 – 717 م)

8) عمر بن عبد العزيز (99 – 101 هـ / 720 – 724 م)

9) يزيد بن عبد الملك (الثاني) (101 – 105 هـ / 720 – 724 م)

10) هشام بن عبدالملك (105 – 125 هـ / 724 – 743 م)

11) الوليد بن يزيد (الثاني) (125 – 126 هـ / 743 – 744 م)

12) يزيد بن الوليد (الثالث) (126 – 126 هـ / 744 – 744 م)

13) ابراهيم بن الوليد (126 – 126 هـ / 744 – 744 م)

14) مروان بن الحكم (الثاني) (127 – 132 هـ / 745 – 750 م)

[1]– عبد العزيز فيلالي: المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د.ت، ص ص 169–170.

الملحق رقم (02): ولاة بني أمية في بلاد المغرب[1]

الولاة : (96 - 184 هـ / 715 - 800 م)

1 - **عبد الله بن موسى بن نصير** تولى شؤون المغرب في عهد الوليد بن عبد الملك ثم أخيه سليمان بين سنتي (96 - 97 هـ / 715 - 716 م)

2 - **محمد بن يزيد** مولى قريش تولى ولاية المغرب في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك بين سنتي (97 - 100 هـ / 716 - 718 م)

3 - **اسماعيل بن** عبيد الله مولى بني مخزوم تولى حكم المغرب في عهد الخليفة الأول عمر بن عبد العزيز بين سنتي (100 - 101 هـ . 718 - 719 م)

4 - **يزيد بن أبي مسلم** مولى الحجاج بن يوسف تولى في عهد الخليفة يزيد الثاني بين سنتي (102 - 103 هـ / 720 - 727 م)

5 - **بشر بن صفوان** الكلبي تولى ولاية المغرب في عهدي يزيد الثاني وهشام بن عبد الملك بين سنتي (103 - 109 هـ / 721 - 727 م)

6 - **عبيدة بن عبد الرحمن** السلمي ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك بين سنتي (109 - 114 هـ / 727 - 732 م)

7 - **عقبة بن قدامة** التجيبي تولى أمور المغرب في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بين سنتي (114 - 116 هـ / 732 - 734 م)

8 - **عبيد الله بن الحبحاب** مولى بن سلول ولاه على بلاد المغرب ، الخليفة هشام بن عبد الملك بين سنتي (116 - 123 هـ / 734 - 742 م)

9 - **كلثوم بن عياض القشيري** تولى الولاية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بين سنتي (123 - 124 هـ / 740 - 742)

10 - **حنظلة بن صفوان** تولى الولاية في عهد خمسة خلفاء هم هشام والوليد الثاني (125) ويزيد الثالث (126) وابراهيم (126) ومروان بن الحكم (127 - 132) . بين سنتي (127 - 132 هـ / 745 - 755 م)

11 - عبد الرحمن بن حبيب - استولى على الولاية في عهد الخليفة مروان بن الحكم وأبي العباس السفاح بين سنتي 127/137 - 745 - 755 م .

12 - **الياس بن حبيب** واخوته تولوا الولاية في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي بين سنتي (137 - 139 هـ / 755 - 756 م)

13 - **استولى الخوارج الصفرية بقيادة عاصم بن جميل** زعيم قبيلة ورجومة على القيروان عاصمة الولاية بين سنتي (139 - 141 هـ . 756 - 759م)

14 - **استولى الخوارج الاباضية بقيادة** أبي الخطاب المعافري على مدينة القيروان قاعدة الولاية بين سنتي (141 - 144 هـ / 759 - 761 م)

15 - **محمد بن الاشعث الخزاعي** تولى شؤون الولاية في عهد الخليفة ابي جعفر المنصور بين سنتي (144 - 148 هـ / 761 - 765 م)

16 - **الاغلب بن سالم** الخزاعي تولى امارة المغرب في عهد ابي جعفر المنصور بين سنتي (148 - 150 هـ / 767 - 771 م)

---

[1]- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص ص 172-173.

الملحق رقم (03): خريطة تبين مواقع القبائل البربرية الرئيسية في بلاد المغرب.[1]

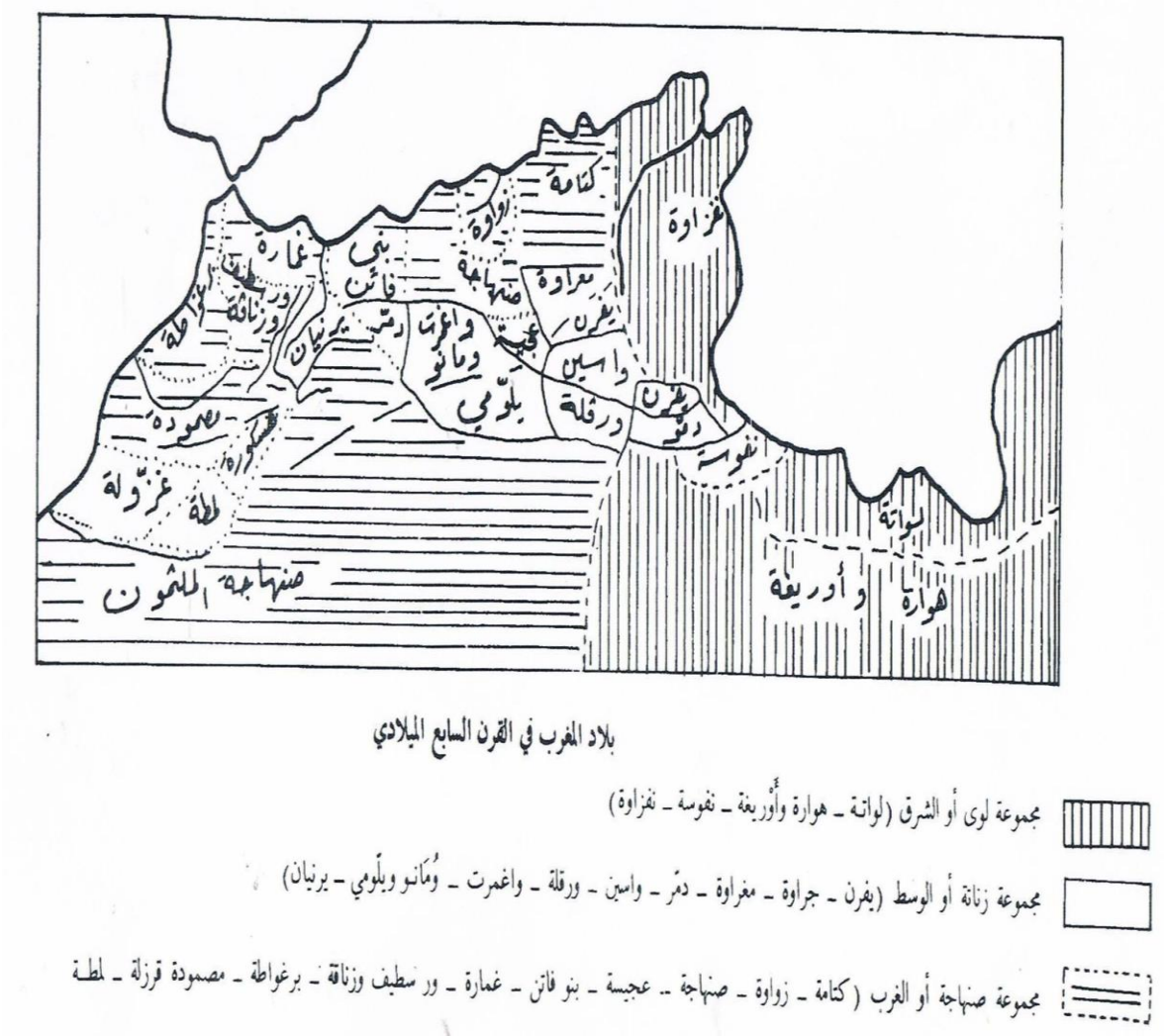

[1]– محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص314.

الملحق رقم (04): خريطة تبين الدويلات المستقلة عن الخلافة المشرقية[1]

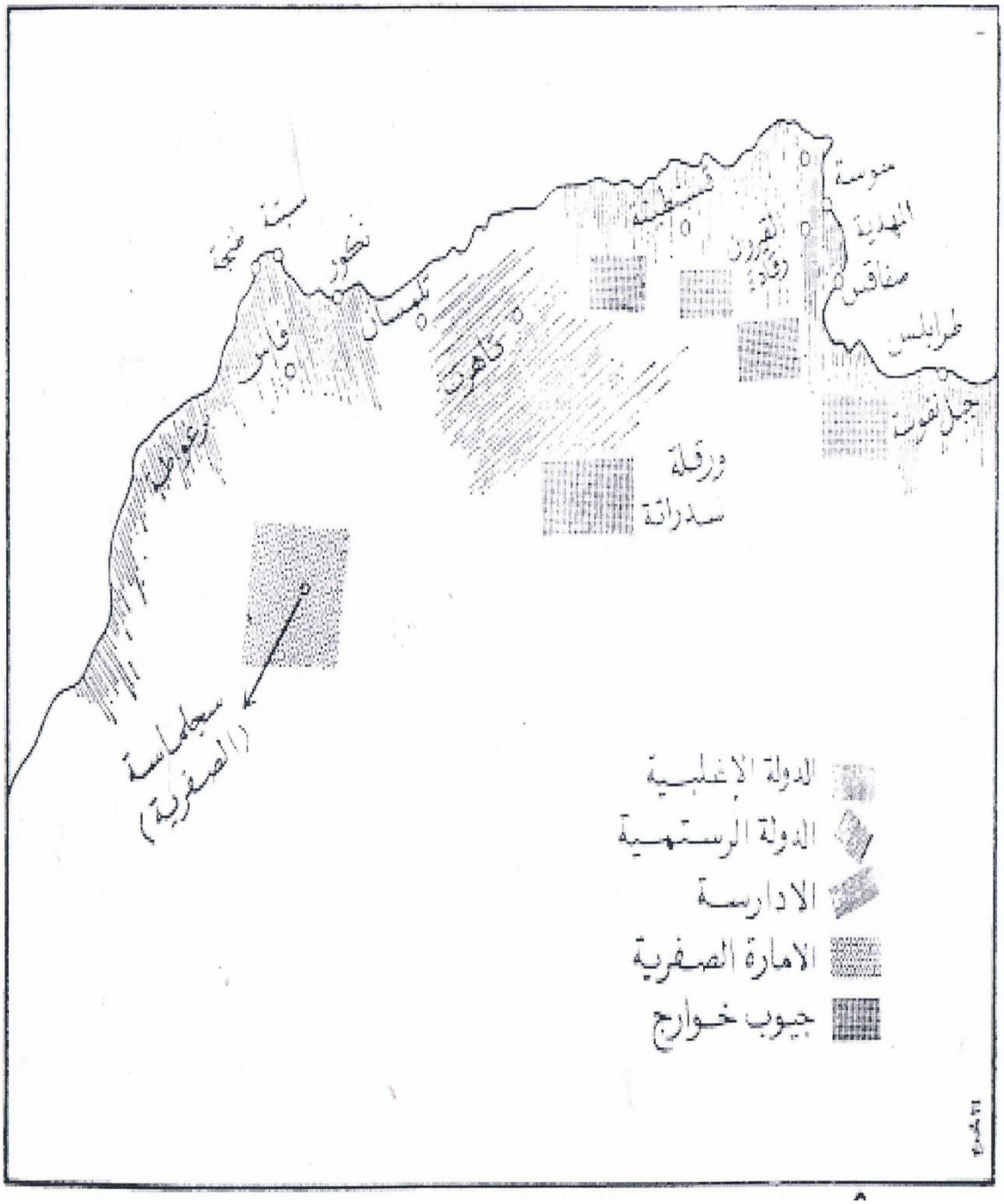

[1]– موسى لقبال: المرجع السابق، ص204.

المقدمة

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1-المصادر:

-القرآن الكريم

- ابن أبي دينار(عاش في القرن الحادي عشر الهجري): المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ.

- ابن أبي زرع :أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت720هـ/1314م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ/ 1232م): الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج4.

- ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله لسان الدين بن الغرناطي، ت 776هـ/ 1375م: أعمال الأعلام ممن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: احمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، القسم الثالث).

- ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي البغدادي (ت367هـ/977م)، صورة الأرض، د.ت، بيروت.

- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ج4.

- ابن عبد الحكم(257هـ): فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الذخائر، القاهرة، 2001، ج1.

- ابن عذارى، أبو العباس بن احمد بن محمد المراكشي(ت712هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تح: ج، س، كولان وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت،1983،ج1.

- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم :الإمامة والسياسة، مطبعة النيل، 1904، ج2.

- أبو الفدا، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، ت 732هـ/1331م : المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم محمد عزب ويحي سيد حسين ومحمد فخري الوصيف، ط1، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص249).

- البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، ت487هـ/989م، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من الكتاب المعروف بالمسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد.

- البلاذري (ت279هـ) : فتوح البلدان، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت،1987.

- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، ت 626هـ/1229م: معجم البلدان، تح: فريد عبد الحميد الجندي، ط1، 1990، ج3.

- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ومدينة السلام، ج 13.

- الدباغ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري (ت 696هـ/ 1296م): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: إبراهيم شبوح، ط2، القاهرة، 1968، ج1.

- الدرجيني: أبو العباس احمد بن سعيد، ت 670هـ، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة ج1.

- الذهبي، الحافظ شمس الدين(ت 748هـ/1247م): سير أعلام النبلاء، تح: عمر بن غرامة العموري، ط1، دار الفكر، بيروت، 1997م).
- الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت: في النصف الأول من القرن الخامس الحادي عشر ميلادي): تاريخ افريقية والمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990.
- السلاوي، أبو العباس احمد بن خالد الناصري، (ت 1315هـ) :الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج1، القاهرة.
- الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت548هـ/ 1147م)، الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلى حسن فاعور، ط1، دار المعرفة، بيروت،1993،ج1.
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ/922م): تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ط2 دار المعارف، القاهرة، 1967، ج4.
- الكتبي، فوات الوفيات، مجلد3، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974.
- المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (474هـ/1081م): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، وزهادهم ونساكهم، وسيرمن أخبارهم، وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش وأحمد لعروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت،1983، ج1.
- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ/1098م):الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة، 1909.
- المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998، ج1.

- بن القوطية (ت 367هـ) :تاريخ افتتاح الأندلس، تح : إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

- بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري (ت240هـ): تاريخ خليفة بن خياط، مر: مصطفى نجيب فواز، حكمت كشلي فواز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

- مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تح: إبراهيم الابياري، ط2، دار المصري ودار الكتاب اللبناني، 1989، لبنان.

2-المراجع:

- إبراهيم بيضون: ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1979.

- ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، تح: محمد زينهم ومحمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، 1988.

- أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1983.

- أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية.

- الحبيب الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، مطابع السياسة، الكويت، 2005.

- السيد سابق: فقه السنة، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985، ج2.

- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير العصر الإسلامي، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

- بوزياني الدراجي: دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، ط3، 2007.
- جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل،منشاة المعارف، الإسكندرية، 1999.
- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة.
- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية.
- حسين مؤنس: فجر الأندلس، ط1، دار المناهل، بيروت، 2002.
- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، 1992.
- حسين مؤنس: موسوعة الأندلس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج1.
- سامية مصطفى سعد:العلاقات بين المغرب والأندلس، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000 م.
- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، مطبعة المعارف، الإسكندرية، 1979، ج1.
- سيدة إسماعيل كاشف: مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994.
- عبد العزيز الثعالبي: سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1995، ط1.
- عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، دار الطليعة لطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1997.
- عبد العزيز غوردو، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ط2، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت،2011.
- عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1999.

- عبد الكريم الفيلالي: التاريخ السياسي لبلاد المغرب، ط1، شركة تاس للطباعة، القاهرة، 2006، ج1.
- عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،1996،ج1.
- عصام الدين الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة.
- علي إبراهيم حسين: التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- لطيفة البكاي: حركة الخوارج، نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (37-132هـ)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2001.
- لويس معلوف: المنجد في اللغة والآداب والعلوم، ط19، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ت.
- محمد الطالبي وإبراهيم العبيدي: البرغواطيون في المغرب، ط1،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999.
- محمد الطالبي: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
- محمد بن عميرة: دور زناته في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- محمد عبد الحي شعبان: صدر الإسلام والدولة الأموية، بيروت، 1987.
- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس (العصر الأول).
- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاولت الثقافية، 2010، ج2.
- محمود إسماعيل عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.

- محمود إسماعيل: الأغالبة سياستهم الخارجية، ط3، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2000.

- موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

- نعنعي عبد المجيد: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت.

- يوليوس فلهاو زن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، تعريب وتعليق محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1968.

3-المجلات والدوريات:

- أحمد الظرافي: فتنة الخوارج في بلاد المغرب وأثرها على الفتوحات الإسلامية في أوربا، مجلة البيان، العدد 321، الرياض، 2014.

- الراشد عبد الجليل: دور البربر في سقوط الدولة الأموية في الأندلس، مجلة المؤرخ العربي، ع3، 1977.

- ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات: ثورات البربر في شمال إفريقيا، 122هـ/740م، ترجمة وتعليق: عبد الله علي الزيدان، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض،1993.

4-الرسائل:

- أشرف يعقوب أحمد شتيوي: الأندلس في عصر الولاة (91-138هـ/ 711-756م)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، فلسطين، 2004.

الفهارس

- فهرس الأعلام
- فهرس القبائل
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس المحتويات

الفهارس

1-فهرس الأعلام:

-أ-

- إبراهيم بن الأغلب: 54.
- المنتصربن اليسع: 53.
- أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري: 49،52.
- أبو القاسم سمكو بن واسول:52.
- أبو المهاجر دينار: 9.
- أبو قرة:40.
- أروى بنت عبد الرحمن بن رستم:53.
- إسماعيل بن أبي المهاجر: 16.
- إسماعيل بن عبيد الله:10، 15، 16.
- الحجاج بن يوسف الثقفي:17.
- الكاهنة:25.
- الليث بن سعد: 46.
- المنصور: 15.

-ب-

- بلج بن بشر: 38، 39، 58، 59.

-ح-

- حبيب بن عبيدة الفهري:31، 33، 34، 37، 38، 39، 64.
- حبيب بن ميمون: 41.
- حسان بن النعمان: 9، 10، 23، 25.
- حنظلة بن صفوان: 12، 40، 42، 43، 44، 45.

-خ-

- خالد بن أبي عبيدة: 32، 33، 34.
- خالد بن حميد الزناتي: 33، 34، 37، 40، 52.

-س-

- سعيد بن بجرة: 41.

-ص-

- صالح بن طريف: 50، 51.
- صفوان بن أبي مالك: 41.

-ط-

- طارق بن زياد: 24، 56.
- طريف الصفري: 50.

-ع-

- عبد الأعلى بن جريج: 28.

- عبد الرحمن الداخل: 50.
- عبد الرحمن بن حبيب: 12، 15، 48، 49، 54، 62، 63.
- عبد الرحمن بن رستم: 52، 53.
- عبد الرحمن بن عقبة الغفاري: 37.
- عبد الملك بن قطن الفهري: 33، 39،59.
- عبد الملك بن مروان: 25.
- عبد الواحد بن يزيد الهواري: 43، 45.
- عبيد الله بن الحبحاب: 14، 15، 17، 23، 27، 30، 31، 33، 34، 35، 64.
- عبيدة بن عبد الرحمن السلمي: 17.
- عبيدة بن عقبة بن نافع: 25.
- عثمان بن عقبة بن نافع: 25.
- عقبة بن الحجاج السلولي: 33.
- عقبة بن نافع: 12، 25.
- عكاشة الفزاري: 40، 41، 42، 43،44، 45، 46.
- عمر بن عبد العزيز: 10، 16، 18، 21.
- عمر بن عبيد الله المرادي: 18، 31.
- عياض بن عقبة بن نافع: 25.
- عيسى بن يزيد: 51، 52.

-ك-

- كسيلة: 12، 25.
- كلثوم بن عياض القشيري: 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 58.

-م-

- محمد بن الأشعث:49.
- محمد بن يزيد مولى الأنصار: 22.
- محمد بن يزيد: 15.
- مروان بن محمد بن الحكم: 12،48.
- مسلم بن أبي كريمة: 27.
- مسلمة بن سواده القرشي: 37، 41.
- مغيث الرومي: 38.
- موسى بن نصير: 25، 28.

- ميسرة المطغري: 31، 32، 33، 52، 57، 64.

-هـ-

- هارون القرشي: 38.
- هشام بن عبد الملك: 14، 19، 20، 21، 26، 30، 34، 36، 39، 42، 48، 54، 63.

-ي-

- يزيد بن أبي مسلم: 17، 22، 26.
- يزيد بن عبد الملك: 16، 21، 22.

2-فهرس القبائل:

-ب-

- برغواطة: 50، 51.
- بني يفرن: 40.

-ز-

- زناتة: 24، 32، 33، 40، 41، 50، 56.
- زواغة:50.

-م-

- مديونة: 24.
- مصمودة: 50.
- مطغرة: 24، 32،56.
- مغيلة:40.
- مكناسة: 24، 51، 56.

-هـ-

- هوارة: 24، 56.

-و-

- ورفجومة:49.

3-فهرس الأماكن:

-أ-

- إفريقية: 11، 12، 13، 33، 35، 36، 38، 42، 45، 48، 52، 53، 54، 55، 58، 61، 62، 63.
- الأصنام:45، 46.
- الأندلس: 21، 24، 25، 39، 42، 50، 55، 56، 57، 58، 59، 61، 62، 63.
- الزاب: 43، 53.
- السوس الأقصى: 11.
- الشام: 36.
- العراق: 20، 26.
- القرن: 44.
- القيروان: 34، 35، 36، 40، 41، 43، 44، 46،49.
- المغرب الأدنى:39.
- المغرب الأقصى: 31، 32، 39، 40، 50.
- المغرب الأوسط: 50، 52، 53.

-ب-

- باجة: 43.
- برشلونة: 60.
- برقة: 11.
- بغداد: 65.
- بقدورة: 36، 37، 64.
- بلاد فارس: 62.

-ت-

- تامسنا: 50.
- تاهرت: 32،53.
- تلمسان: 36، 40.

-ج-

- جليقية: 58.

-ح-

- حوض التاج: 56.

-د-

- دمشق: 14، 19، 21، 23، 30، 62، 63.

-س-

- سبتة: 38، 58.
- سجلماسة: 51، 53.
- سيرت: 4.

-ص-

- صقلية: 30، 31، 34، 64.

-ط-

- طرابلس: 11، 36، 43.

- طلبيرة: 58.
- طليطلة: 58.
- طنجة: 11، 13، 18، 30، 32، 33، 36، 37، 38، 40، 42.

-ق-

- قابس: 40، 41.
- قرطبة: 58.
- قورية: 58.

-م-

- ماردة: 58.
- مصر: 12،36، 42، 49، 64.

-ن-

- نهر الوادي الكبير: 56.
- نهر ملوية: 25، 51.

-و-

- وادي الشلف: 32، 34، 37.
- وادي سبو: 36، 58.

فهرس الموضوعات

المحتـــوى الصفحة

مقدمة أ

الفصل الأولـــ: أسباب ثورات البربر ضد خلافة المشرق 07

تمهيد: 09

أولا: الأسباب السياسية لثورات المغاربة ضد الخلافة 16

ثانيا: الأسباب الاقتصادية لثورات المغاربة ضد الخلافة 21

ثالثا: الأسباب الاجتماعية لثورات المغاربة ضد الخلافة 26

رابعا: الأسباب المذهبية لثورات المغاربة ضد الخلافة 30

الفصل الثاني: مجريات وأحداث ثورات البربر ضد خلافة المشرق

أولا: ثورة ميسرة المطغري 122هـ / 740م 30

1- فشل وفد البربر في مقابلة الخليفة الأموي 30

2- ميسرة يتزعم انطلاق الثورة 31

ثانيا: ثورة الأشراف 122هـ/ 740م 33

1- زناتة تقود الثورة 33

2- وصول أنباء الثورة إلى الخليفة الأموي 34

ثالثا: موقعة بقدورة 123هـ/741م 36

1-توجيه جيش الخلافة نحو المغرب 36

2- التقاء الجمعان 37

رابعا: موقعتا القرن والأصنام 125هـ/743م 40

1- موقعة القــرن 44

2- موقعة الأصنام 45

الفصل الثالث: آثار وتداعيات ثورات البربر ضد خلافة المشرق

أولا: تداعيات الثورات على المغرب 48

1- انفصال أطراف المغرب عن جسد الخلافة المشرقية 48

2- تقلص نفوذ الخلافة المشرقية 53

ثانيا: تداعيات ثورات بلاد المغرب على الأندلس 55

1-عوامل انتقال صدى الثورات إلى الأندلس 56

2 – آثارها على عدوة الأندلس 58

ثالثا: تداعيات ثورات المغاربة على الخلافة في المشرق 62

1- دور ثورات المغاربة في سقوط الخلافة الأموية 132ه/750م 62

2- أثر ثورات المغاربة على عملية الفتح الإسلامي: 64

الخاتمة 67
الملاحق 70
قائمة المصادر والمراجع 75
الفهارس 84
فهرس الأعلام 84
فهرس القبائل 87
فهرس الأماكن والبلدان 88
فهرس المحتويات 91